موسوعة الأخلاق

الجزء الرابع

التَّودُّد - الجُود، والكَرَم، والسَّخاء، والبَذْل

حُسْنُ الظَّن - الحِكْمَة

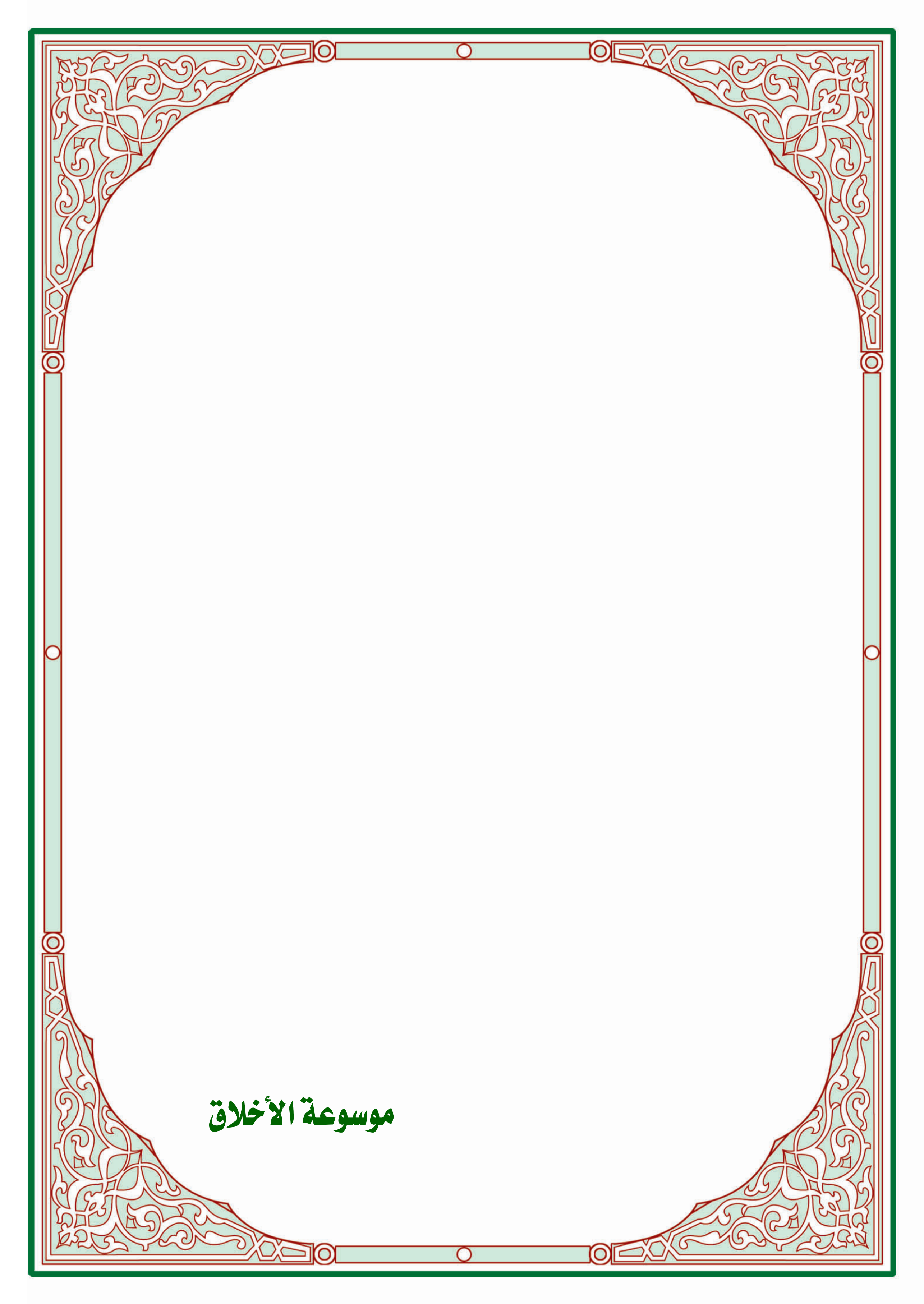
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عبدِ القادرِ السَّقَّاف




موسوعة الأخلاق

موسوعة الأخلاق

الجزء الرابع

التَّودُّد - الجُود، والكَرَم، والسَّخاء، والبَذْل

حُسْنُ الظَّن - الحِكْمَة

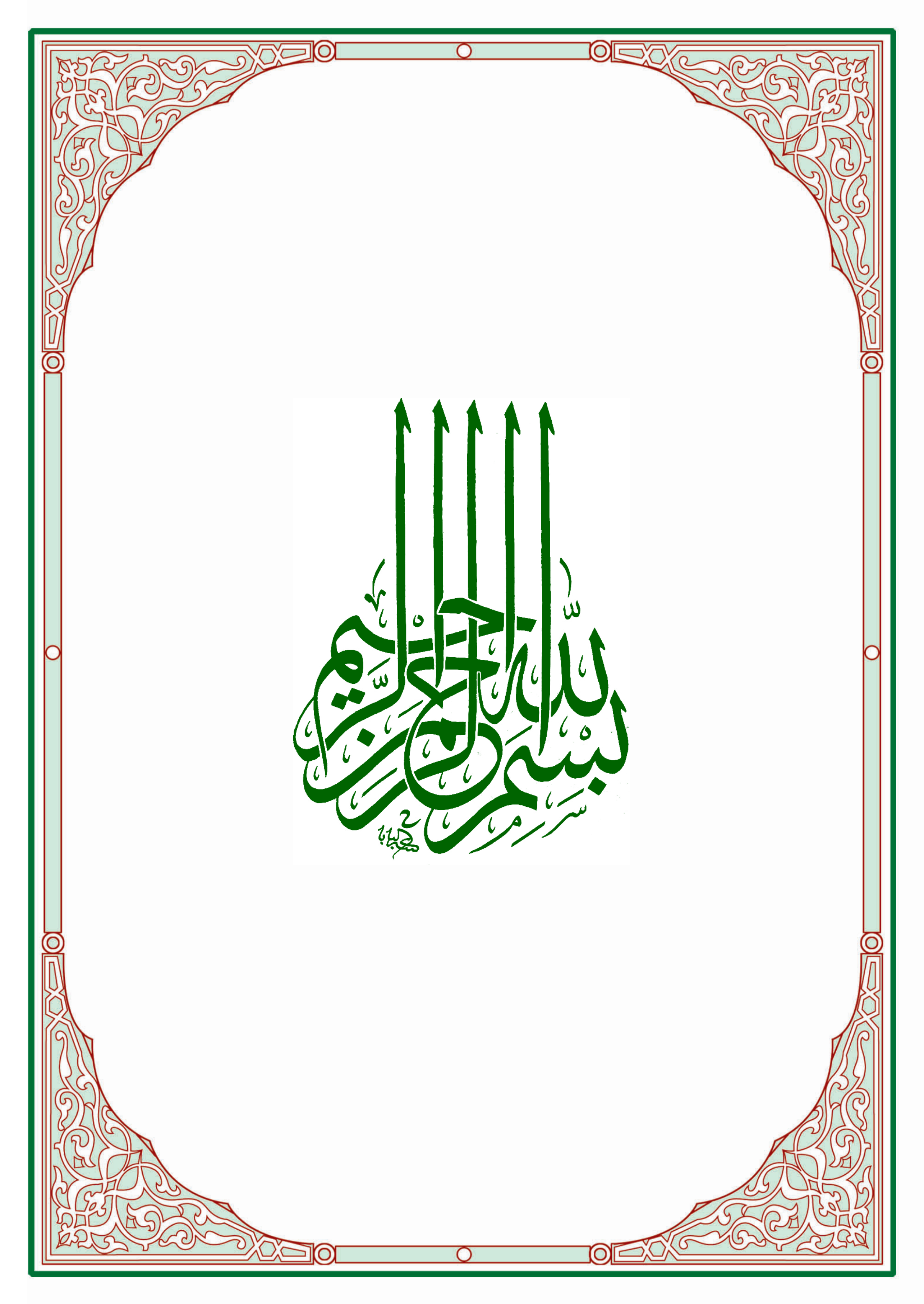
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

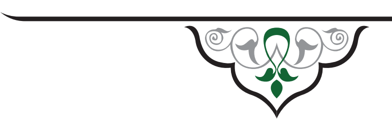
علوي بن عبد القادر السَّقَّاف




بسم الله الرحمن الرحیم



التَّودُّد



التَّودُّد

معنى التَّودُّد لغةً واصطلاحًا:

- **معنى التَّودُّد لغةً:**

التَّودُّد من الوُدِّ، والوُدُّ: مصدر المَوَدَّة: الوُدُّ: الحُبُّ يكون في جميع مداخل الخير، والتواد التحاب.

وتودَّدَ إليه: تَحَبَّبَ. وتَوَدَّدَه: اجْتَلَبَ وُدَّه[١].

- **معنى التَّودُّد اصطلاحًا:**

التَّودُّد هو: (طلب مَوَدَّة الأكفاء بما يوجب ذلك)[٢].

وقال ابن حجر: (هو تقرُّب شخصٍ من آخر بما يحب)[٣].

وقال ابن أبي جمرة: (التَّوَادُد: التَّواصل الجالب للمحبَّة)[٤].

الفرق بين التَّوَاد والتَّعاطف والتَّراحم:

قال ابن أبي جمرة: (الذي يظهر أنَّ التَّراحم والتَّوادُد والتَّعاطف، وإن كانت متقاربة في المعنى، لكن بينها فرق لطيف، فأمَّا التَّراحم، فالمراد به: أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان، لا بسبب شيء آخر.

وأما التَّوادُد، فالمراد به: التَّواصل الجالب للمحبَّة، كالتَّزاور والتَّهادي.

وأما التَّعاطف، فالمراد به: إعانة بعضهم بعضًا، كما يعطف الثَّوب عليه ليقوِّيه)[٥].

---

(١) ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (٩/٣٦٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/٤٥٣).

(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص ٧١)، ((معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم)) للسيوطي (ص ٢٠٨).

(٣) ((فتح الباري)) (١٠/٤٣٩).

(٤) ((المصدر السابق)).

(٥) ((المصدر السابق)).

الفرق بين الحبِّ والوُدِّ:

الحب يكون فيما يوجبه ميل الطباع والحِكْمَة جميعًا، والوُدُّ ميل الطِّباع فقط؛ ألا ترى أنَّك تقول: أحبُّ فلانًا وأودُّه، وتقول: أحبُّ الصَّلاة، ولا تقول: أودُّ الصَّلاة. وتقول: أودُّ أنَّ ذاك كان لي، إذا تمنيت وِدَادَه[1].

التَّرغيب في التَّودُّد:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤].

قيل لابن عقيل: أسمع وصية الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾، وأسمع النَّاس يعدُّون من يُظهر خلاف ما يبطن منافقًا، فكيف لي بطاعة الله تعالى، والتَّخلُّص من النِّفاق؟ فقال: النِّفاق هو: إظهار الجميل وإبطان القبيح، وإضمار الشَّر مع إظهار الخير لإيقاع الشَّر. والذي تضمنته الآية: إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن[2].

- وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ يعني: المرأة هي من الرَّجل، ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ أي: تستأنسوا بها، ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ

(١) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص ١٢٢).

(٢) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) للسفاريني (١/٢٠٨-٢٠٩).

﴿وَرَحۡمَةً﴾ محبَّة، ﴿وَرَحۡمَةً﴾ يعني: الولد[(١)].

وقال الطبري: وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والخُتُونة، مَوَدَّة تتوادُّون بها، وتتواصلون من أجلها، ﴿وَرَحۡمَةً﴾ رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٢)].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

عن مجاهد، في قوله: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾، قال: (يحبُّهم ويحبِّبُهم إلى المؤمنين)[(٣)].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بمن يحرم على النَّار، وبمن تحرم النَّار عليه؟ على كلِّ هيِّن ليِّن قريب سهل))[(٤)].

---

(١) ((تفسير القرآن العزيز)) لابن أبي زمنين (٣/٣٥٩).

(٢) ((جامع البيان)) للطبري (٢٠/٨٦).

(٣) ((تفسير مجاهد)) (ص ٤٥٩).

(٤) رواه الترمذي (٢٤٨٨)، وأبو يعلى (٨/٤٦٧) (٥٠٥٣)، وابن حبان (٢/٢١٦) (٤٧٠)، والطبراني (١٠/٢٣١) (١٠٥٦٢) واللفظ له. قال الترمذي، والبغوي في ((شرح السنة)) (٦/٤٨٠): حسن غريب. وقال ابن عساكر في ((معجم الشيوخ)) (١/٥٢١): محفوظ من حديث موسى بن عقبة عن عبد الله بن عمرو، تفرد به هشام بن عروة عنه، وجوَّد إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/٢٦)، والبوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٣/٢٨٥)، وقال: وله شاهد. وقال محمد المناوي في ((تخريج أحاديث المصابيح)) (٤/٣٤٣): رجاله رجال مسلم، إلا عبد الله بن عمرو الأودي فإنه لم يرو له إلا الترمذي، ولم أر من تكلم فيه بجرح. وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٤٨٨).

قال القاري: (... ((قريب)) أي: من النَّاس بمجالستهم في محافل الطَّاعة، وملاطفتهم قدر الطَّاعة. ((سهل)) أي: في قضاء حوائجهم، أو معناه: أنه سمح القضاء، سمح الاقتضاء، سمح البيع، سمح الشِّراء)[١].

وقال الصديقي: (... ((تحرم على كلِّ قريب)) أي: من النَّاس بحسن ملاطفته لهم، ((هيِّن ليِّن)) قال في ((النِّهاية)): ((المسلمون هَيْنُونَ لَيْنُون))، وهما بالتَّخفيف، قال ابن الأعرابي: العرب تمدح بِالْهَيْنِ اللَّيْن، مخفَّفيْن، وتذم بهما مُثَقَّلَيْن، وهيِّن: أي بالتَّشديد، فيعل من الهون، وهو السَّكينة والوقار والسُّهولة، فعَيْنُه (واو)، وشيءٌ هَيْنٌ وهَيِّنٌ، أي: سَهْلٌ. ((سهل)). أي: يقضي حوائجهم ويسهل أمورهم)[٢].

- وعن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى))[٣].

ففي هذا الحديث: تعظيم حقوق المسلمين، والحضُّ على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضًا[٤].

- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: ((جاء رجل إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنِّي أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا. ثم أتاه الثَّانية فنهاه، ثم أتاه الثَّالثة، فقال: تزوَّجوا الوَدُود

(١) ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٨/٣١٧٩).
(٢) ((دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين)) للصديقي (٥/٩٨).
(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.
(٤) ((تطريز رياض الصالحين)) للحريملي (ص ١٧٤).

الولود؛ فإنِّي مكاثر بكم الأمم))[١].

الوَلُود: كثيرة الولد، والوَدُود: المَوْدُودَة، لما هي عليه من حسن الخلق، والتَّوَدُّد إلى الزَّوج[٢].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله! إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأَحْلُم عنهم ويجهلون علي، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنَّما تُسِفُّهم الملَّ[٣]، ولا يزال معك من الله ظهير[٤] عليهم ما دمت على ذلك))[٥].

فأيَّده النَّبي صلى الله عليه وسلم على تودُّدِه إليهم، وإن لم يجد منهم مقابلًا لما يقوم به، إلَّا الإساءة إليه.

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((أنَّ رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله. وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقيل له: أصلحك الله! إنَّهم الأعراب، وإنَّهم يرضون باليسير. فقال عبد الله: إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطَّاب، وإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ أَبَرَّ البِرِّ: صِلَة الولد أهل وُدِّ أبيه))[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٦/٦٥)، وابن حبان (٩/٣٦٣) (٤٠٥٦)، والطبراني (٢٠/٢١٩) (٥٠٨)، والحاكم (٢/١٧٦)، والبيهقي (٧/٨١) (١٣٨٥٧). قال أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٣/٧٢): غريب من حديث منصور، تفرد به المستلم بن سعيد. وصحح إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢/٥٣)، وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٢٠٥٠): حسن صحيح. وصححه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (١١٤٣).

(٢) ((نيل الأوطار)) للشوكاني (٦/١٠٤-١٠٥).

(٣) تطعمهم الرماد الحار ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/١١٥).

(٤) المعين والدافع لأذاهم ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/١١٥).

(٥) رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٦) رواه مسلم (٢٥٥٢).

قال النَّووي: (... ((إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لعمر)). قال القاضي: رويناه بضم الواو وكسرها، أي: صديقًا من أهل مَوَدَّته، وهي محبَّته. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ أبرَّ البِرِّ: صِلَة الولد أهل وُدِّ أبيه))[١]، وفي رواية: ((إنَّ من أبرِّ البِرِّ صِلَة الرَّجل أهل وُدِّ أبيه بعد أنْ يُوَلِّيَ))، الوُدُّ هنا مضموم الواو، وفي هذا فضل صِلَة أصدقاء الأب، والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمِّن لِبرِّ الأب وإكرامه؛ لكونه بسببه. وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ، والزَّوج والزَّوجة)[٢].

أقوال السَّلف والعلماء في التَّودُّد:

- قال الحسن: (التَّقدير نصف الكسب، والتَّودُّد نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم)[٣].

- وسئل الحسن عن حسن الخلق، فقال: (الكرم، والبذلة، والتَّودُّد إلى النَّاس)[٤].

- وعن ميمون بن مهران قال: (المروءة: طلاقة الوجه، والتَّودُّد إلى النَّاس، وقضاء الحوائج)[٥].

- وقال أبو حاتم: (الواجب على العاقل أنْ يتحبَّب إلى النَّاس بلزوم حسن الخلق، وترك سوءِ الخلق؛ لأنَّ الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشَّمس الجليد، وإن الخلق السَّيئ ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل، وقد تكون في

(١) رواه مسلم (٢٥٥٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٢) ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/١٠٩-١١٠).
(٣) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (٢/٦٥).
(٤) ((الموشى)) للوشاء (ص ٢٨).
(٥) ((المروءة)) لابن الرزبان (ص ٧٠).

الرَّجل أخلاق كثيرة صالحة كلُّها، وخلق سيئ، فيفسد الخلق السَّيئ الأخلاق الصَّالحة كلَّها)[١].

فوائد التَّودُّد إلى النَّاس:

١- التَّودُّد طريق موصل للحبِّ والألفة، مما يقوي روابط التَّقارب بين الأفراد، ويزيد اللُّحمة بينهم.

٢- التَّودُّد وتقوية العلاقات بين النَّاس، أساس لبناء مجتمع قوي مبني على الولاء، والتَّناصر والتَّعاضد والتَّعاون.

٣- التَّودُّد يعكس الجمال الرُّوحي، والجانب الأخلاقي الفاضل الذي جاء الإسلام لتكميله وتعزيزه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق))[٢].

٤- التَّودُّد للنَّاس، وكسب محبتهم وثقتهم مدعاة لتقبل ما يطرح عليهم من أفكار أو ما يُدعون إليه بجهد أقل وبسهولة ويسر، ففرق بين التَّقبل من البشوش اللَّين المحبوب، ومن القاسي العابس الممقوت.

٥- التَّودُّد والتَّحبُّب إلى الخلق وسيلة لكسب قلوبهم، وكسب القلوب مدعاة للثَّناء وحسن الذِّكر.

٦- من فوائد التَّودُّد التَّراحم بين المسلمين، والتَّراحم موجب لرحمة الله

---

(١) ((روضة العقلاء ونزهة الفضلاء)) لابن حبان البستي (ص ٦٤).

(٢) رواه أحمد (٢/٣٨١) (٨٩٣٩) بلفظ: ((صالح)) بدلا من ((مكارم))، والحاكم (٢/٦٧٠)، والبيهقي (١٠/١٩١) (٢٠٥٧١) واللفظ له. قال ابن رجب في ((لطائف المعارف)) (٣٠٥): ذكره مالك في الموطأ بلاغا. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/١٨): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن رزق الله الكلوذاني وهو ثقة. وصححه الزرقاني في ((مختصر المقاصد)) (١٨٤)، وجود إسناده ابن باز في ((مجموع فتاوى ابن باز)) (٢/٢١٥).

سبحانه وتعالى لمن اتَّصف بهذه الصِّفة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن))[1].

٧- التَّودُّد سبيل إلى زوال الخصومات والأحقاد، ويؤدِّي إلى تصفية القلوب، ونقائها من هذه الأدران النَّفسية، من الحسد والكره والتَّباغض.

أنواع التَّودُّد إلى النَّاس:

التودد نوعان:

١- تودد محمود: وهو ما كان ناشئًا من محبة معتدلة لأهل الخير والصلاح.

٢- تودد مذموم: وهو التودد إلى الكفار والظالمين وفسقة الناس.

موانع اكتساب التَّودُّد إلى النَّاس:

١- الكبر والخيلاء فهما من الصِّفات المنافية للتَّودُّد.

٢- العبوس في وجوه النَّاس، فهو مانع لكسب وُدِّهم.

٣- الغلظة في الكلام، وفظاظة العبارات، وفحش الألفاظ.

٤- الشُّحُّ والبخل، مدعاة لمقت صاحبها، وتتنافى مع التَّودُّد للخَلْق.

٥- غلظة الطَّبع، والشِّدة في التَّعامل.

٦- الجفاء وترك التَّواصل بين النَّاس مع بعضهم، فهو سبب يحول دون

(١) رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، والبيهقي (٤١/٩) (١٧٦٨٣)، وأحمد (١٦٠/٢) (٦٤٩٤)، والحاكم (١٧٥/٤)، والبيهقي (٤١/٩) (١٨٣٦٢)، قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الذهبي في ((العلو)) (١٩): تفرد به سفيان. وصححه العراقي في ((الأربعون العشارية)) (١٢٥)، وحسنه ابن حجر في ((الإمتاع)) (٦٢/١)، والسخاوي في ((البلدانيات)) (٤٧)، وقال: بل صححه غير واحد. وقال الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (١٥٢/٤): ثابت. وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٩٤١).

استدامة الوُدِّ، وازدياده في القلوب.

٧- الخصومات والنزاعات، وكثرة الخلاف.

وسائل معينة على التَّودُّد إلى النَّاس:

وسائل التَّودُّد إلى الخلق كثيرة جدًّا، وتختلف باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال، ولكن نعدد بعضًا من أهم هذه الوسائل، فمنها:

١- حسن الخلق مع البشْر فهو مفتاح قلوبهم، والباعث على مَوَدَّة صاحبه، وممهد له في قلوب النَّاس مكانًا.

قال أبو حاتم: (حسن الخلق بَذْر اكتساب المحبَّة، كما أنَّ سوء الخلق بَذْر استجلاب البغْضَة. ومن حَسُن خلقه صان عرضه، ومن ساء خلقه هتك عرضه؛ لأنَّ سوء الخلق يورث الضَّغائن، والضَّغائن إذا تمكَّنت في القلوب أورثت العداوة، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدِّين، أهوت صاحبها إلى النَّار، إلا أن يتداركه المولى بتفضُّلٍ منه وعفو)[1].

٢- التَّغافل عن الزلَّات، وعدم التَّوقف عند كلِّ خطأ أو كبوة يقع فيها الرَّفيق.

قال بعض الحكماء: (وجدت أكثر أمور الدُّنيا لا تجوز إلا بالتَّغافل)[2].

٣- البشَاشَة وطلاقة الوجه، والتَّبسُّم في وجوه النَّاس، مما يقذف الوُدَّ في قلوب البَشَر لصاحبها.

٤- الرِّفق ولين الجانب، والأخذ باليُسر والسُّهولة في معاملة النَّاس.

٥- التَّواضع، وخفض الجناح، وعدم التَّعالي والتَّكبر عليهم.

---

(١) ((روضة العقلاء)) (ص ٦٥).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ١٨٠).

قال أبو حاتم: (ولكن من أسباب المؤاخاة التي يجب على المرء لزومها: مشي القصد، وخفض الصوت، وقلَّة الإعجاب، ولزوم التَّواضع، وترك الخلاف)[١].

٦- عدم إكثار المؤونات والتَّثقيل عليهم، فالبَشَر مجبولون على كراهية من يكلِّفهم المؤونة، ويشق أو يثقل عليهم.

قال أبو حاتم: (ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات، فيبرمهم؛ لأنَّ المرضع إذا كثر مصُّه، ربَّما ضجرت أمه فتلقيه)[٢].

وقال أكثم بن صيفي: (تباعدوا في الدِّيار، تقاربوا في الموَدَّة)[٣].

٧- تفريج كرب الإخوان، والوقوف إلى جانبهم في الملمَّات والأحزان، ومواساتهم والإحسان لهم.

فعن سليمان مولى عبد الصَّمد بن علي: أنَّ المنصور -أمير المؤمنين- قال لابنه المهدي: (اعلم أنَّ رضاء النَّاس غاية لا تُدرك، فتحبَّبْ إليهم بالإحسان جهدك، وتودَّد إليهم بالإفضال، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم)[٤].

٨- الزِّيارة والتَّواصل، والسُّؤال عن الإخوان، وتجنُّب الجفاء بين المتودِّد وبين من يطلب وُدَّه.

قال أديب: (الموَدَّة روح، والزِّيارة شخصها)[٥].

وقال أبو حاتم: (العاقل يتفقَّد ترك الجفاء مع الإخوان، ويراعي محوها إن

---

(١) ((روضة العقلاء)) (ص ٨٨).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (٢/٤٦).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢٣٥).
(٥) ((البصائر والذخائر)) لأبي حيان التوحيدي (٣/٥٧).

بدت منه، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة؛ لأنَّ من استصغر الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرًا، فإذا الصغير كبير، بل يبلغ مجهوده في محوها؛ لأنه لا خير في الصِّدق إلا مع الوفاء، كما لا خير في الفقه إلا مع الورع، وإنَّ من أخرق الخرق التماس المرء الإخوان بغير وفاء، وطلب الأجر بالرياء، ولا شيء أضيع من مَوَدَّة تُمنح من لا وفاء له)[١].

٩- عدم مقابلة الإساءة منهم بالمثْل، بل من أراد التَّودُّد للبَشَر فليعف وليصفح، وليقابل الإساءة بنقيضها.

قال السلمي: (وقابل القطيعة بالصِلَة، والإساءة بالإحسان، والظلم بالصَّبر والغفران)[٢]، فعن عقبة بن عامر قال: ((لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: يا عقبة بن عامر! صِل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك))[٣].

١٠- إدخال السُّرور في قلوب النَّاس، والانبساط معهم والمزاح.

قال الماوردي: (العاقل يتوخَّى بمزاحه أحد حالين، لا ثالث لهما: أحدهما: إيناس المصاحبين، والتَّودُّد إلى المخالطين، كما قال حكيم لابنه: يا بني اقتصد

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٨٩).
(٢) ((وصية الشيخ السلمي)) (ص ٤٩).
(٣) رواه أحمد (١٥٨/٤) (١٧٤٨٨)، والطبراني (٢٦٩/١٧) (٧٣٩)، والحاكم (١٧٨/٤) والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢٢٢/٦) (٧٩٥٩). قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣١٠/٣): رواة أحد إسنادي أحمد ثقات. وجود إسناده الدمياطي في ((المتجر الرابح)) (٢٥٣)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٩١/٨): أحد إسنادي أحمد رجاله ثقات. وصحح إسناده الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٨٥٩/٦)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيق ((مسند أحمد)) (١٥٨/٤).

في مزاحك؛ فإنَّ الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرِّئ السُّفهاء، والتَّقصير فيه نقص بالمؤانسين، وتوحش بالمخاطبين. والثَّاني: أن ينفي من المزاح ما طرأ عليه، وحدث به من هم)[١].

١١- أن يوقر المشايخ ويرحم الصِّبيان، وفي الحديث قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقِّر كبيرنا))[٢].

١٢- أن يبدأ من يلقى بالسَّلام قبل الكلام.

قال صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أَوَلَا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: أفشوا السَّلام بينكم))[٣].

١٣- الكلمة الطَّيبة، فهي تقود القلوب إلى محبَّة صاحبها.

فقد قال بعضهم ناصحًا: (ولا تمتنع أن تتكلم بما يطيِّب قلوب العامَّة؛ فإنَّ النَّاس ينقادون للكلام أكثر من انقيادهم بالبطش)[٤].

---

(١) ((بريقة محمودية)) لأبي سعيد الخادمي (١٦/٤).

(٢) رواه بألفاظ متقاربة أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩٢٠)، وأحمد (٢٠٧/٢) (٦٩٣٧) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال الترمذي والنووي في ((الترخيص بالقيام)) (٥٧): حسن صحيح، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١٤٣/١١)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٩٤٣)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (٧٨٨).

ورواه البزار (١٥٧/٧) (٢٧١٨)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (٣٦٥/٣) (١٣٢٨)، والحاكم (٢١١/١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

حسن إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٩٠/١)، وابن كثير في ((جامع المسانيد والسنن)) (٥٨٦٥)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٧/٨)، وحسنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٥٤٤٣).

(٣) رواه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ((لباب الآداب)) لأسامة بن منقذ (٥١/١).

١٤- الهديَّة، وهي وسيلة ذات أثر كبير على القلوب، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تهادوا تحابوا))[1].

نماذج في صفة التَّودُّد:

• نماذج من حياة النَّبي صلى الله عليه وسلم:

كان هذا الخُلَق واقعًا ملموسًا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتوَدَّد إلى أصحابه، ومن هم حوله، فمن ذلك:

- ما روته عائشة رضي الله عنها، من أنَّ رجلًا استأذن على النَّبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: ((بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلَّق النَّبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرَّجل. قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرَّجل، قلت له كذا وكذا، ثم تطلَّقت في وجهه، وانبسطت إليه. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة، متى عهدتني فحاشًا؟ إنَّ شر النَّاس عند الله منزلة يوم القيامة، من تركه النَّاس اتقاء شرِّه))[2].

قال ابن الجوزي: (هذا إنَّما فعله رسول الله على وجه المداراة، فسَنَّ ذلك لأمَّته، فيجوز أن يُستعمل مثل هذا في حق الشِّرِّير والظَّالم)[3].

وقال ابن بطال: (المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للنَّاس،

---

(١) رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٥٩٤)، وأبو يعلى (٩/١١) (٦١٤٨)، والبيهقي (١٦٩/٦) (١٢٢٩٧).

جود إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٥٣/٢)، وحسن إسناده ابن حجر في ((التلخيص الحبير)) (١٠٤٧/٣)، وحسن الحديث الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (٤٦٢).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١).

(٣) ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) (٣٤٨/٤).

ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة وسلِّ السَّخيمة)[١].

- ومن ذلك توَدُّده صلى الله عليه وسلم لمن حوله، بتبسُّمه في وجوه أصحابه، ودعائه لهم، فعن جرير رضي الله عنه، قال: ((ما حجبني النَّبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسَّم في وجهي، ولقد شكوت إليه أنِّي لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: اللهمَّ ثبِّته، واجعله هاديًا مهديًّا))[٢].

- ومِنْ توَدُّده صلى الله عليه وسلم أنَّه ((كان يمرُّ بالصِّبيان فيسلم عليهم))[٣].

- وكان ((إذا لقيه أحد من أصحابه، قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرَّجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده، ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرَّجل هو الذي ينزع يده منه، وإذا لقي أحدًا من أصحابه فتناول أذنه، ناوله إياها ثم لم ينزعها حتى يكون الرَّجل هو الذي ينزعها عنه))[٤].

- ومِنْ توَدُّده صلى الله عليه وسلم لأصحابه أنَّه: ((كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم))[٥].

(١) ((شرح صحيح البخاري)) (٩/٣٠٥).

(٢) رواه البخاري (٣٠٣٥، ٣٠٣٦)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٤) رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (١/٣٧٨)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٣/٣٦٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وحسنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٤٧٨٠).

(٥) رواه الحاكم (٢/٥٠٦)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧/٤) (٩٢٤٦). وصحح إسناده البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٥/٤٩٥).

• نماذج من حياة الصَّحابة رضي الله عنهم:

- عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: ((كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه. فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو الدَّرداء: ونحن عنده، وفي رواية: أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر. فسلَّم وقال: يا رسول الله! إنِّي كان بيني وبين ابن الخطَّاب شيء، فأسرعت إليه ثمَّ ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثًا)، ثمَّ إنَّ عمر ندم على ما كان منه، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبا بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فجعل وجه النَّبي صلى الله عليه وسلم يتمعَّر؛ حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، وقال: يا رسول الله! والله أنا كنت أظلم (مرتين). فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ (مرتين)، فما أوذي بعدها))[١].

ففي الحديث، السعي إلى استجلاب الوُدِّ من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وطلبه لإزالة الشَّحناء من قلب عمر تجاهه، رضوان الله عليهم أجمعين.

- أيضًا كان الصَّحابة رضي الله عنهم، حريصين على أن يتَّصفوا بهذه الصِّفة، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يأتي النَّبي صلى الله عليه وسلم ليدعو له أن يحبِّبَه هو وأمَّه إلى المؤمنين، ويحبِّب المؤمنين إليهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: ((يا رسول الله! ادع الله أن يحبِّبني أنا وأمِّي إلى عباده المؤمنين،

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤٠).

ويحبِّبهم إلينا. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهمَّ حبِّب عُبَيدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبِّب إليهم المؤمنين. فما خُلِقَ مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبَّني))[١].

- **نماذج من العلماء والسَّلف:**

ابن قيِّم الجوزيَّة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر:

قال ابن كثير في ترجمته: (وكان حَسن القراءة والخُلُق، كثير التَّوَدُّد، لا يحسد أحدًا، ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد)[٢].

ابن مالك، إمام العربية، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الطَّائي الجياني:

قيل في ترجمته: (وتقدَّم وساد في علم النَّحو والقراءات، ورَبَا على كثير ممَّن تقدَّمه في هذا الشَّأن، مع الدِّين والصِّدق، وحسن السَّمت، وكثرة النَّوافل، وكمال العقل والوقار، والتَّوَدُّد، وانتفع به الطلبة)[٣].

القاضي علاء الدين أبو الحسن علي التَّنوخي الدمشقي الحنبلي:

قيل في ترجمته: (كان رجلًا وافر العقل، حَسن الخلق، كثير التَّوَدُّد)[٤].

القاضي محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المناوي، ثم القاهري[٥]:

قيل في ترجمته: (كان كثير التَّودُّد إلى النَّاس، مُعَظَّمًا عند الخاص والعام، ومُحَبَّبًا إليهم).

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩١).
(٢) ((البداية والنهاية)) (٢٧٠/١٤).
(٣) ((مرآة الجنان وعبرة اليقظان)) لليافعي (١٣١/٤).
(٤) ((العبر في خبر من غبر)) للذهبي (١٥٥/٤).
(٥) ((إنباء الغمر بأبناء العمر)) لابن حجر (١٨١/٢).

الفقيه الحنبلي المقرئ المحدِّث، أمين الدِّين أبو عبد الله محمَّد البعلي:

قال البرزالي عنه: (كان شيخًا جليلًا، حَسن الوجه، بَهي المنظر، له سمت حسن، وعليه سكينة، ولديه فضل كثير، فصيح العبارة، حَسِن الكلام، له قبول من النَّاس، وهو كثير التَّوَدُّد إليهم، قاض للحقوق)[١].

شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر، المعروف بابن المهيني:

جاء في ترجمته: (كان بشوش الوجه، حَسن الشكل، كثير التَوَدُّد للنَّاس)[٢].

الشيخ الفرضي المحدِّث، عماد الدين أبو عبد الله الدمياطي:

جاء في ترجمته: (كان حلو المحادثة، كثير التَّوَدُّد، غزير المحاسن)[٣].

أقوالٌ وأمثالٌ في التَّودُّد:

- قيل لعبد الملك بن مروان: (ما أفدت في ملكك هذا؟ قال: مَوَدَّة الرِّجال)[٤].
- وقال بعض الحكماء: (من علامة الإقبال اصطناع الرِّجال)[٥].
- وقال بعض البلغاء: (من استصلح عدوه، زاد في عدده، ومن استفسد صديقه، نقص من عدده)[٦].
- وروي عن لُقْمان أنَّه قال لابنه: (يا بنيَّ تَوَدَّدْ إلى النَّاس، فإنَّ التَّوَدُّد إليهم أمنٌ، ومعاداتهم خوفٌ)[٧].

---

(١) ((شذرات الذهب)) لابن العماد (٨/٧-٨).

(٢) ((المصدر السابق)) (٨/٣٠٦).

(٣) ((أعيان العصر وأعوان النصر)) للصفدي (٤/٦٦٠).

(٤) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ١٨١).

(٥) ((المصدر السابق)).

(٦) ((المصدر السابق)).

(٧) ((نثر الدر في المحاضرات)) للآبي (١١/٧).

- وقال المنصور: (إذا أحببت المحمدة من النَّاس بلا مؤونة، فالْقَهم ببِشْر حَسَن)[١].
- وقال بعض الظُّرفاء عن الظُّرف: (التَّوَدُّد إلى الإخوان، وكفُّ الأذى عن الجيران)[٢].
- وقال أبو شروان لوزيره بزرجمهر: (ما الشيء الذي يعز به السُّلطان؟ قال الطَّاعة، قال: فما سبب الطَّاعة، قال التَّوَدُّد إلى الخاصَّة والعامَّة)[٣].
- ويقال: (الأناة حُسْنٌ، والتَّودُّد يُمْنٌ)[٤].
- وقيل: (استدم مَوَدَّة أخيك بترك الخلاف عليه، ما لم تكن عليه منقصة أو غضاضة)[٥].
- وقيل: (بإحياء الملاطفة، تستمال القلوب العارفة)[٦].
- وقال الحسن بن وهب: (من حقوق المَوَدَّة، أخذ عفو الإخوان، والإغضاء عن تقصيرٍ إن كان)[٧].
- وقالت الحكماء: (دواء المَوَدَّة كثرة التَّعاهد)[٨].
- ولبعض الحكماء من السَّلف: (عاشروا النَّاس، فإن عشتم حنُّوا

(١) ((الموشى = الظرف والظرفاء)) للوشاء (ص ٢٩).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٥٢).
(٣) ((مفيد العلوم ومبيد الهموم)) للخوارزمي (٤١٦، ٤١٧).
(٤) ((لباب الآداب)) لأسامة بن منقذ (١/٦٨).
(٥) ((روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)) للأماسي (ص ٢٦٣).
(٦) ((المصدر السابق)).
(٧) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ١٧٤).
(٨) ((المصدر السابق)) (ص٣٤٠).

إليكم، وإن متم بكوا عليكم)[١].

- وقال بعض الحكماء: (من جاد لك بمودَّته، فقد جعلك عديل نفسه)[٢].
- ومن كلام العرب: (خطب وُدَّ فلان)، أي: أرضاه، تودَّد إليه، طلب صداقته[٣].
- ومن كلام العرب (تغازل الصَّديقان): أي: تودَّد كلٌّ منهما إلى الآخر في محادثته[٤].

التَّوَدُّد في واحة الشِّعر:

أنشد البغدادي:

خالِقِ النَّاسَ بخلقٍ حسن ... لا تكنْ كلبًا على النَّاس يَهِر[٥]

والْقَهُمْ منك ببِشْر ثمَّ صنْ ... عنهم عرضَك عن كلِّ قَذِر[٦]

وأنشد محمَّد بن إبراهيم اليعمري:

حافظْ على الخلقِ الجميلِ ومزْ به ... ما بالجميلِ وبالقبيحِ خفاءُ

إن ضاق مالُك عن صديقِك فالقَه ... بالبِشْرِ منك إذا يحين لقاءُ[٧]

وأنشد علي بن محمَّد البسامي:

أعاشرُ معشري في كلِّ أمرٍ ... بأحسنِ ما أريتُ وما رأيتُ

(١) ((آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة)) لأبي البركات الغزي (ص ٣٢).
(٢) ((غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة)) لحازم خنفر (ص ٣٦).
(٣) ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) لأحمد مختار (١/٦٥٩).
(٤) ((المصدر السابق)) (١/١٦١٦).
(٥) ينبح ويكشر عن أنيابه ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/٢٦١).
(٦) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٦٤).
(٧) ((المصدر السابق)).

وأجتنبُ المقابحَ حيث كانت ... وأتركُ ما هويتُ وما فريتُ[١]

وقال ابن الرُّومي:

فكثِّرْ مِن الإخوانِ ما [اسطعتَ] إنَّهُمُ ... بطونٌ إذا استنجدتَهم وظهورُ

وليس كثيرًا ألفُ خلٍّ وصاحبٍ ... وإنَّ عدوًّا واحدًا لكثيرُ[٢]

وقال أبو العتاهية:

إنَّ في صحةِ الإخاءِ من النَّا ... سِ وفي خلةِ الوفاءِ لقلَّه

فالبس النَّاسَ ما استطعتَ على النَّقـ ... ـصِ وإلَّا لم تستقمْ لك خلَّه

عِشْ وحيدًا إن كنتَ لا تقبلُ العذ ... رَ وإن كنتَ لا تجاوزُ زلَّه

من أب واحد وأم خلقنا ... غير أنا في المال أولاد علَّه[٣]

وأنشد أبو علي العنزي:

القَ بالبِشْر من لقيتَ من النَّا ... س جميعًا، ولاقِهم بالطلاقهْ

تجنِ منهم به جنيَ ثمارٍ ... طيِّب طعمُه، لذيذ المذاقهْ

ودعِ التِّيه والعُبُوس عن النَّا ... س فإنَّ العُبُوس رأسُ الحماقهْ

كلَّما شئتَ أن تعادي عاديـ ... ـت صديقًا، وقد تَعِزُّ الصَّداقهْ[٤]

وقال الشَّاعر:

فإذا القرابةُ لا تقرِّب قاطعًا ... وإذا المودَّةُ أقربُ الأنسابِ[٥]

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٦٦).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ١٨١).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ١٨٠).

(٤) ((الموشى)) للوشاء (ص ٢٩).

(٥) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٣/١٠٣).

وقال الخوارزمي في كتابه ((مفيد العلوم)): وإن جفاك إخوانك وكفروا نعمتك، وأنكروا صنعك، ورأيت ممَّن أحسنت له سيِّئة، أو مرضت فلم يعدك، أو قدمت فلم يزرك، أو تشفَّعت فلم يقبلوا، فلا تغتمَّ، وتسَلَّ بهذه الأبيات التي لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:

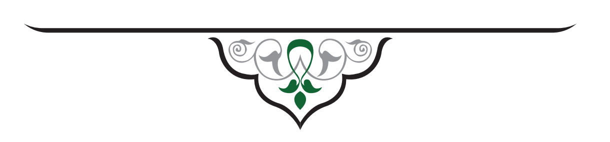
تغيَّرتِ الأحبةُ والإخاءُ	وقلَّ الصِّدقُ وانقطع الرَّجاءُ
وأسلمني الزَّمانُ إلى صديقٍ	كثيرِ الغدرِ ليس له وفاءُ
يديمون المَوَدَّةَ ما رأوني	ويبقوا الوُدَّ ما بقي اللِّقاءُ
وكلُّ مَوَدَّةٍ للهِ تصفو	ولا يصفو على الخلقِ الإخاءُ
وكلُّ جراحةٍ فلها دواءٌ	وخُلُقُ السُّوءِ ليس له دواءُ[1]



(١) ((مفيد العلوم ومبيد الهموم)) للخوارزمي (٢٦٩-٢٧٠).



الجُود، والكَرَم، والسَّخاء، والبَذْل



الجُود، والكَرَم، والسَّخاء، والبَذْل

معنى الجُود، والكَرَم، والسَّخاء، والبَذل، لغةً واصطلاحًا:

- **معنى الجُود لغةً واصطلاحًا:**

معنى الجُود لغةً:

الجُود: المطر الغزير، وجاد الرَّجل بماله يجُود جُودًا بالضَّم، فهو جَوَادٌ[(١)].
وقيل: الجَوَاد: هو الذي يعطي بلا مسألة؛ صيانة للآخذ مِن ذلِّ السُّؤال[(٢)].
ويُفَسَّر الجُود أيضًا بالسَّخاء[(٣)].

معنى الجُود اصطلاحًا:

قال الجرجاني: (الجُود: صفة، هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا بعوض)[(٤)].

(وقال الكِرْماني: الجُود: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي)[(٥)].

وقيل هو: (صفةٌ تحمل صاحبها على بذل ما ينبغي مِن الخير لغير عوض)[(٦)].

- **معنى الكَرَم لغةً واصطلاحًا:**

معنى الكَرَم لغةً:

الكَرَم: ضدُّ اللُّؤْم، كرُم كرامة وكَرَمًا وكَرَمة، فهو كريم وكريمة، وكرماء وكرام

---

(١) ((الصحاح في اللغة)) للجوهري (٢/٤٦١)، ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (١٤٨٩)، ((المعجم الوسيط)) (٢/٧٨٤).
(٢) ((تاج العروس)) للزبيدي (٧/٥٢٧).
(٣) ((المصدر السابق)) (٧/٥٣١).
(٤) ((التعريفات)) (ص ٧٩).
(٥) ((تاج العروس)) للزبيدي (٧/٥٢٧).
(٦) ((المعجم الوسيط)) (ص ١٤٦).

وكرائم، وكرم فلان: أعطى بسهولة وجاد، وكرم الشيء عزَّ ونفس[١].

معنى الكَرَم اصطلاحًا:

قال الجرجاني: (الكَرَم: هو الإعطاء بسهولة)[٢].

وقال المناويُّ: (الكرم: إفادة ما ينبغي لا لغرض)[٣].

وقال القاضي عياض: (وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة، ومعانيها متقاربة، وقد فرق بعضهم بينها بفروق، فجعلوا الكرم: الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطره ونفعه، وسموه أيضا جرأة، وهو ضد النذالة)[٤].

• معنى السَّخاء لغةً واصطلاحًا:

معنى السَّخاء لغةً:

السَّخاوة والسَّخاء: الجُود، والكرم. والسَّخي: الجَوَاد، وفي الفعل ثلاث لغات سخا من باب علا، وسخي من باب تعب، وسَخُو من باب قرُب[٥].

معنى السَّخاء اصطلاحًا:

قال المناويُّ: (السَّخاء: الجُود، أو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، أو بذل التَّأمُّل قبل إلحاف السَّائل)[٦].

وقال الرَّاغب: (السَّخاء: هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات، حصل

---

(١) ((جمهرة اللغة)) لابن دريد (٢/٧٩٨).
(٢) ((التعريفات)) (ص ١٨٤).
(٣) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) (ص ٢٨١).
(٤) ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) (١/٢٣٠).
(٥) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/٣٧٣)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/٢٧٠).
(٦) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) (ص ١٩٢).

معه البَذْل أو لم يحصل، وذلك خُلُق)[١].

وقال القاضي عياض: (السَّخاء: سهولة الإنفاق، وتجنُّب اكتساب ما لا يُحْمَد)[٢].

- **معنى البَذْل لغةً واصطلاحًا:**

معنى البَذْل لغةً:

بَذَلَ الشَّيء: أعطاه وجاد به. والبَذْل نقيض المنع، وكلُّ مَن طابت نفسه لشيءٍ فهو باذلٌ. ورجلٌ بذَّال، وبَذُول: إذا كَثُر بذله للمال. يقال: بَذَلَ له شيئًا، أي: أعطاه إيَّاه[٣].

معنى البَذْل اصطلاحًا:

قال المناويُّ: (البَذْل: الإعطاء عن طيب نفس)[٤].

الفرق بين صفة الجُود وبعض الصِّفات:

- **الفرق بين الجُود والسَّخاء:**

قال الرَّاغب: (السَّخاء: اسم للهيئة التي عليها الإنسان.

والجُود: اسم للفعل الصَّادر عنها.

وإن كان قد يسمَّى كلُّ واحد باسم الآخر مِن فضله)[٥].

(١) ((الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة)) (ص ٢٨٦).
(٢) ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) (١/ ٢٣٠).
(٣) ((العين)) للخليل أحمد (٨/ ١٨٧)، ((تهذيب اللغة)) للهروي (١٤/ ٣١٢)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٣١)، ((معجم ديوان الأدب)) للفارابي (٢/ ١٣٨).
(٤) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) (ص ٧٣).
(٥) ((الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة)) (ص ٩٧).

وقال أبو هلال العسكري: (الفرق بين السَّخاء والجُود: أنَّ السَّخاء هو أن يلين الإنسان عند السُّؤال، ويسهل مهره للطَّالب، مِن قولهم: سَخَوت النَّار أسخوها سخوًا: إذا ألينتها، وسَخَوت الأديم: ليَّنته، وأرضٌ سَخاوِيَّةٌ: ليِّنة...

والجُود كثرة العطاء مِن غير سؤال، مِن قولك: جادت السَّماء، إذا جادت بمطر غزير، والفرس: الجَوَاد الكثير الإعطاء للجري، والله تعالى جَوَاد لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمة.

ويظهر مِن كلام بعضهم: التَّرادف.

وفرَّق بعضهم بينهما: بأنَّ مَن أعطى البعض وأبقى لنفسه البعض فهو صاحب سخاء.

ومَن بَذَلَ الأكثر وأبقى لنفسه شيئًا، فهو صاحب جود)[١].

- **الفرق بين الجُود والكَرَم:**

قال الكفوي: (الجُود: هو صفة ذاتيَّة للجَوَاد، ولا يستحقُّ بالاستحقاق ولا بالسُّؤال.

والكَرَم: مسبوقٌ باستحقاق السَّائل والسُّؤال منه)[٢].

وقال أبو هلال العسكري في الفرق بينهما: (أنَّ الجَوَاد هو الذي يعطي مع السُّؤال.

والكريم: الذي يعطي مِن غير سؤال.

وقيل بالعكس.

(١) ((معجم الفروق اللغوية)) (ص ٣٠٣).
(٢) ((الكليات)) (ص ٣٥٣).

وقيل: الجُود: إفادة ما ينبغي لا لغرض.

والكَرَم: إيثار الغير بالخير[(١)].

- **الفرق بين الجُود والإفضال:**

قال الكفوي: (والإفضال أعمُّ من الإنعام والجُود، وقيل: هو أخصُّ منهما؛ لأنَّ الإفضال إعطاءٌ بعوض، وهما عبارة عن مطلق الإعطاء.

والكَرَم: إن كان بمال فهو: جود. وإن كان بكفِّ ضررٍ مع القُدْرة فهو: عفو. وإن كان ببذل النَّفس فهو: شجاعة)[(٢)].

الترغيب في الجُود والكَرَم والسَّخاء:

أولًا: في القرآن الكريم

- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذَّاريات: ٢٤-٢٦].

قال الطَّبري: (عن مجاهدٍ، قوله: ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ قال: أكرمهم إبراهيم، وأمر أهله لهم بالعجل حينئذٍ)[(٣)].

قال الزجَّاج: (جاء في التَّفسير أنَّه لما أتته الملائكة أكرمهم بالعجل. وقيل: أكرمهم بأنَّه خدمهم، صلوات الله عليه وعليهم)[(٤)].

- وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

(١) ((معجم الفروق اللغوية)) (١٧١-١٧٢) بتصرُّف.
(٢) ((الكليات)) (ص ٥٣).
(٣) ((جامع البيان في تفسير القرآن)) (٢١/٥٢٥).
(٤) ((مفردات القرآن وإعرابه)) (٥/٥٤).

﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال ابن كثير: (هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لتضعيف الثَّواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأنَّ الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ)[١].

- وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

قال ابن كثير: (هذا مدحٌ منه تعالى للمنفقين في سبيله، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات مِن ليلٍ أو نهارٍ، والأحوال مِن سرٍّ وجهار، حتى إنَّ النَّفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضًا)[٢].

وقال السَّمرقندي: (هذا حثٌّ لجميع النَّاس على الصَّدقة، يتصدَّقون في الأحوال كلِّها، وفي الأوقات كلِّها، فلهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)[٣].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((دينارٌ أنفقته في سبيل الله ودينارٌ أنفقته في رقبةٍ، ودينارٌ تصدَّقت به على مسكينٍ، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك))[٤].

قال النَّوويُّ: (في هذا الحديث فوائد، منها: الابتداء في النَّفقة بالمذكور على

---

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) (٦٩١/١).
(٢) ((المصدر السابق)) (٧٠٧/١).
(٣) ((بحر العلوم)) للسَّمرقندي (١٨١/١).
(٤) رواه مسلم (٩٩٥).

هذا التَّرتيب. ومنها: أنَّ الحقوق والفضائل إذا تزاحمت، قُدِّم الأوكد فالأوكد. ومنها: أنَّ الأفضل في صدقة التَّطوع أن ينوِّعها في جهات الخير ووجوه البرِّ بحسب المصلحة، ولا ينحصر في جهةٍ بعينها)[١].

- وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ في ظلِّ الكعبة، فلمَّا رآني قال: ((هم الأخسرون وربِّ الكعبة. قال: فجئت حتى جلست، فلم أتقارَّ[٢] أن قمت، فقلت: يا رسول الله، فداك أبي وأمي، مَن هم؟ قال: هم الأكثرون أموالًا، إلَّا مَن قال هكذا وهكذا وهكذا -مِن بين يديه ومِن خلفه وعن يمينه وعن شماله- وقليلٌ ما هم، ما مِن صاحب إبلٍ، ولا بقرٍ، ولا غنمٍ لا يؤدِّي زكاتها إلَّا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت، وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلَّما نفدت أخراها، عادت عليه أولاها، حتى يُقْضَى بين النَّاس))[٣].

قال النَّوويُّ: (فيه الحثُّ على الصَّدقة في وجوه الخير)[٤].

وقال المباركفوريُّ: (فقوله: ((قال هكذا)) الخ، كناية عن التَّصدُّق العام في جميع جهات الخير)[٥].

- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفرٍ مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن كان معه فضل ظهرٍ،

---

(١) ((شرح النووي على مسلم)) (٨١/٧).
(٢) لم أتقار: لم ألبث. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣٨/٤).
(٣) رواه البخاري (٦٦٣٨)، و مسلم (٩٩٠).
(٤) ((المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج)) (٧٣/٧).
(٥) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) (٩٢/٢).

فليعد به على مَن لا ظهر له، ومَن كان له فضلٌ مِن زاد، فليعد به على مَن لا زاد له))[١].

قال النَّوويُّ: (في هذا الحديث: الحثُّ على الصَّدقة والجُود والمواساة والإحسان إلى الرُّفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمرُ كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج، وأنَّه يُكتفى في حاجة المحتاج بتعرُّضه للعطاء وتعريضه مِن غير سؤال)[٢].

- **أقوال السَّلف والعلماء في الكَرَم والجُود والسَّخاء:**

- قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)[٣].

- وعنه رضي الله عنه: (الجُود حارس الأعراض)[٤].

- وقال عليٌّ رضي الله عنه: (السَّخاء ما كان ابتداءً، فأمَّا ما كان عن مسألة فحياء وتذمُّم)[٥].

- ورُوِي عنه مرفوعًا: ((الكَرَم أعطف مِن الرَّحم))[٦].

- (وقيل لحكيم: أيُّ فعلٍ للبَشَر أشبه بفعل الباري تعالى، فقال: الجُود)[٧].

- وقال يحيي البرمكي: (أعط مِن الدُّنْيا وهي مقبلة؛ فإنَّ ذلك لا ينقصك

(١) رواه مسلم (١٧٢٨).
(٢) ((شرح النووي على مسلم)) (١٢/٣٣).
(٣) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٤/٣٥٧).
(٤) ((المصدر السابق)).
(٥) ((المصدر السابق)) (٤/٣٨٠).
(٦) ((المصدر السابق)) (٤/٣٥٧).
(٧) ((الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة)) للرَّاغب الأصفهاني (ص ٢٨٧).

منها شيئًا. فكان الحسن بن سهل يتعجَّب مِن ذلك ويقول: لله درُّه! ما أطبعه على الكَرَم وأعلمه بالدُّنْيا)[1].

- و(قال محمَّد بن يزيد الواسطي: حدَّثني صديق لي: (أنَّ أعرابيًّا انتهى إلى قوم فقال: يا قوم، أرى وجوهًا وضيئة، وأخلاقًا رضيَّةً، فإن تكن الأسماء على إثر ذلك فقد سعدت بكم أمُّكم... قال أحدهم: أنا عطيَّة، وقال الآخر: أنا كرامة، وقال الآخر: أنا عبد الواسع، وقال الآخر: أنا فضيلة، فأنشأ يقول:

كرمٌ وبذلٌ واسعٌ وعطيَّةٌ لا أين أذهب أنتمُ عين الكَرَم

مَن كان بين فضيلة وكرامة لا ريب قد يفقؤ عين العدم

قال: فكسوه وأحسنوا إليه وانصرف شاكرًا)[2].

- و(كان يُقَال: مَن جاد بماله جاد بنفسه، وذلك أنَّه جاد بما لا قوام لنفسه إلَّا به)[3].

- وقال الماورديُّ رحمه الله تعالى: (اعلم أنَّ الكريم يجتزي بالكرامة واللُّطف، واللَّئيم يجتزي بالمهانة والعنف، فلا يجود إلَّا خوفًا، ولا يجيب إلَّا عنفًا، كما قال الشَّاعر:

رأيتك مثل الجوز يمنع لبَّه[4] صحيحًا ويعطي خيره حين يُكْسَر

فاحذر أن تكون المهانة طريقًا إلى اجتدائك[5]، والخوف سبيلاً إلى عطائك،

(١) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٣٦٨/٤).

(٢) ((مكارم الأخلاق)) للخرائطي (ص ٢٠٠).

(٣) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٣٦٥/٤).

(٤) لب الجوز واللوز، ونحوهما: ما في جوفه. ((لسان العرب)) لابن منظور (٧٢٩/١).

(٥) الاجتداء: السؤال انظر: ((المصدر السابق)) (١٣٤/١٤ - ١٣٥).

فيجري عليك سفه الطَّغام[١]، وامتهان اللِّئام، وليكن جودك كرمًا ورغبة، لا لؤمًا ورهبة)[٢].

- و(عن حسن بن صالحٍ، قال: سُئِل الحسن عن حُسْن الخُلُق، فقال: الكَرَم، والبَذْلة، والاحتمال)[٣].

- (وقال جعفر بن محمَّد الصَّادق: إنَّ لله وجوهًا مِن خلقه، خلقهم لقضاء حوائج عباده، يرون الجُود مجدًا، والإفضال مغنمًا، والله يحبُّ مكارم الأخلاق)[٤].

- وقال بكر بن محمَّد العابد: (ينبغي أن يكون المؤمن مِن السَّخاء هكذا، وحثا بيديه)[٥].

- وقال بعض الحكماء: (أصل المحاسن كلِّها الكَرَمُ، وأصل الكَرَم نزاهةُ النَّفس عن الحرام، وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير مِن فروعه)[٦].

- وقال ابن المبارك: (سخاء النَّفس عمَّا في أيدي النَّاس أعظم مِن سخاء النَّفس بالبَذْل)[٧].

- وقال بعض العلماء: (الكَرَم: هو اسم واقع على كلِّ نوع مِن أنواع

(١) الطغام: أوغاد الناس. ((القاموس المحيط)) للفيروآبادي (ص ١١٣٣).
(٢) ((أدب الدُّنْيا والدِّين)) للماوردي (ص ٢٠٠).
(٣) ((الكِرَام والجود وسخاء النُّفوس)) للبرجلاني (ص ٥٥).
(٤) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٤/٣٥٧).
(٥) ((مكارم الأخلاق ومعاليها)) للخرائطي (ص ١٧٩).
(٦) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ١٦٨).
(٧) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٤/٣٥٧).

الفضل، ولفظٌ جامعٌ لمعاني السَّمَاحة والبَذْل)[١].

- وقالوا: (السَّخيُّ مَن كان مسرورًا ببذله، متبرِّعًا بعطائه، لا يلتمس عرض دنياه فيحْبَطُ عملُه، ولا طلب مكافأة فيسقط شكرُه، ولا يكون مَثَلُه فيما أعطى مَثَلُ الصَّائد الذي يلقي الحَبَّ للطَّائر، ولا يريد نفعها ولكن نَفْعَ نفسه)[٢].

فوائد الكَرَم والجُود والسَّخاء[٣]:

١- الكَرَم والجُود والعطاء مِن كمال الإيمان وحُسْن الإسلام.

٢- دليل حُسْن الظَّن بالله تعالى.

٣- الكرامة في الدُّنْيا، ورفع الذِّكر في الآخرة.

٤- الكريم محبوبٌ مِن الخالق الكريم، وقريبٌ مِن الخَلْق أجمعين.

٥- الكريم قليل الأعداء والخصوم؛ لأنَّ خيره منشورٌ على العموم.

٦- الكريم نفعه متعدٍّ غير مقصور.

٧- تثمر حُسْن ثناء النَّاس عليه.

٨- تبعث على التَّكافل الاجتماعي والتَّواد بين النَّاس.

٩- الكَرَم يزيد البركة في الرِّزق والعمر.

١٠- يولِّد في الفرد شعورًا بأنَّه جزء مِن الجماعة، وليس فردًا منعزلًا عنهم إلَّا في حدود مصالحه ومسؤولياته الشَّخصيَّة.

---

(١) ((عين الأدب والسياسة)) لأبي الحسن بن هذيل (ص ١٠٥).

(٢) ((صلاح الأمَّة في علوِّ الهمَّة)) لسيِّد العفَّاني (٢/٦١٦-٦١٧).

(٣) انظر: ((نضرة النَّعيم)) (٨/٣٢٣٥). و((الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها)) لعبد الرَّحمن الميداني (٢/٣٦٣-٣٦٥) بتصرُّف واختصار.

١١- تزكِّي الأنفس وتطهرها مِن رذائل الأنانيَّة المقيتة، والشُّح الذَّميم.

١٢- حلُّ مشكلة حاجات ذوي الحاجات مِن أفراد المجتمع الواحد.

١٣- إقامة سدٍّ واقٍ يمنع الأنفس من سيطرة حبِّ التَّملُّك والأثرة.

صور الكَرَم والجُود والسَّخاء:

- **المجالات التي يشملها الكَرَم والجُود والعطاء متنوِّعة وكثيرة، فمنها:**

١- العطاء مِن المال، ومِن كلِّ ما يمتلك الإنسان مِن أشياء ينتفع بها، كالذَّهب والفضَّة، والخيل، والأنعام، والحرث، وكلِّ مأكول، أو مشروب، أو ملبوس، أو مركوب، أو مسكون، أو يؤوي إليه، وكلِّ آلة أو سبب أو وسيلة ينتفع بها، وكلِّ ما يُتَدَاوى به أو يقي ضرًّا أو يدفع بأسًا، إلى غير ذلك مِن أشياء يصعب إحصاؤها.

٢- ومنها العطاء مِن العلم والمعرفة، وفي هذا المجال مَن يحبُّون العطاء، وفيه بخلاء ممسكون ضنينون، والمعطاء في هذا المجال هو الذي لا يدَّخر عنده علمًا ولا معرفة عمَّن يُحْسِن الانتفاع بذلك، والبخيل هو الذي يحتفظ بمعارفه وعلومه لنفسه، فلا ينفق منها لمستحقِّيها، ضنًّا بها ورغبةً بالاستئثار.

٣- ومنها عطاء النَّصيحة، فالإنسان الجَوَاد، كريم النَّفس، لا يبخل على أخيه الإنسان بأيِّ نصيحةٍ تنفعه في دينه أو دنياه، بل يعطيه نُصْحَه الذي ينفعه مبتغيًا به وجه الله تعالى.

٤- ومنها: العطاء مِن النَّفس، فالجواد يعطي مِن جاهه، ويعطي مِن عَطْفِه وحنانه، ويعطي مِن حلو كلامه وابتسامته وطلاقة وجهه، ويعطي مِن وقته وراحته، ويعطي مِن سمعه وإصغائه، ويعطي مِن حبِّه ورحمته، ويعطي مِن دعائه

وشفاعته، وهكذا إلى سائر صور العطاء مِن النَّفس.

٥- ومنها: العطاء مِن طاقات الجسد وقواه، فالجواد يعطي مِن معونته، ويعطي مِن خدماته، ويعطي مِن جهده، فيعين الرَّجل في دابَّته فيحمله عليها أو يحمل له عليها، ويميط الأذى عن طريق النَّاس وعن المرافق العامَّة، ويأخذ بيد العاجز حتى يجتاز به إلى مكان سلامته، ويمشي في مصالح النَّاس، ويتعب في مساعدتهم، ويسهر مِن أجل معونتهم، ومِن أجل خدمتهم، وهكذا إلى سائر صور العطاء مِن الجسد.

٦- ويرتقي العطاء حتى يصل إلى مستوى التَّضحية بالحياة كلِّها، كالمجاهد المقاتل في سبيل الله، يجود بحياته؛ لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، ابتغاء مرضاة ربِّه[(١)].

الأسباب المعينة على الكَرَم والجُود والسَّخاء:

دوافع البَذْل والعطاء عند الإنسان كثيرة؛ منها[(٢)]:

١- توفيق الله له بالبَذْل والنَّفقة.

٢- نفسه الطيِّبة.

٣- حبُّ عمل الخير.

٤- حثُّ أهل الخير له على النَّفقة والعطاء والكَرَم.

٥- مقتضيات المجتمع الإسلامي وحاجاته المِلحَّة إلى التَّعاون؛ والتَّكامل لبناء الاقتصاد الإسلامي بناءً قويًّا وعزيزًا.

---

(١) ((الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها)) لعبد الرَّحمن الميداني (٢/٣٦١-٣٦٣) بتصرُّف واختصار.

(٢) ((التصوير النَّبوي للقيم الخلقية)) لعلي علي صبح (ص ١٨١) بتصرُّف.

نماذج في الكَرَم والجُود والسَّخاء:

• نماذج مِن كرم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

إبراهيم الخليل عليه السَّلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كان أوَّل مَن أضاف الضَّيف إبراهيم))(١).

قال المناويُّ: (كان يسمَّى أبا الضِّيفان، كان يمشي الميل والميلين في طلب مَن يتغدَّى معه... وفي ((الكشَّاف)): كان لا يتغدَّى إلَّا مع ضيف)(٢).

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذَّاريات: ٢٤].

قال مجاهد: سمَّاهم (مُكْرَمين) لخدمة إبراهيم إيَّاهم بنفسه(٣).

وقال الرَّازي: (أُكْرِموا إذ دخلوا، وهذا مِن شأن الكريم أن يُكْرِم ضيفه وقت الدُّخول، فإن قيل: بماذا أُكْرِموا؟ قلنا: ببشاشة الوجه أولًا، وبالإجلاس في أحسن المواضع وألطفها ثانيًا، وتعجيل القِرَى ثالثًا، وبعد التَّكليف للضَّيف بالأكل والجلوس)(٤).

• نماذج مِن كرم العرب وجودهم في العصر الجاهلي:

لقد كان الكَرَم مِن أبرز الصِّفات في العصر الجاهلي، بل كانوا يتباهون بالكَرَم والجُود والسَّخاء، ورفعوا مِن مكانة الكَرَم، وكانوا يصفون بالكَرَم عظماء

---

(١) رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦/٣٩٥) (٨٦٤١). مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال البيهقي: الصَّحيح موقوف، وحسَّنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٤٤٥١).

(٢) ((فيض القدير)) (٤/٥٤٣).

(٣) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (١٧/٤٥).

(٤) ((مفاتيح الغيب)) (٢٨/١٧٤).

القوم، واشتهر بعض العرب بهذه الصِّفة الحميدة حتى صار مضربًا للمثل، ونذكر بعض النَّماذج مِن هؤلاء الذين اشتهروا بفيض كرمهم وسخاء نفوسهم، ومِن أولئك:

حاتم الطَّائي:

كان حاتم الطَّائي مِن أشهر مَن عُرِف عند العرب بالجُود والكَرَم حتى صار مضرب المثل في ذلك.

(قالت النوار امرأته: أصابتنا سنة اقشعرَّت لها الأرض، واغبرَّ أفق السَّماء، وراحت الإبل حدبًا حدابير[١]، وضنَّت المراضع عن أولادها فما تَبِضُّ بقطرة[٢]، وجَلَّفَت السَّنَة المال[٣]، وأيقنَّا أنَّه الهلاك. فو الله إنِّي لفي ليلة صَنْبر[٤] بعيدة ما بين الطَّرفين، إذ تضاغى[٥] أصيبيتنا[٦] مِن الجوع، عبد الله وعدي وسَفَّانة، فقام حاتم إلى الصبيَّين، وقمت إلى الصبيَّة، فو الله ما سكنوا إلَّا بعد هدأة مِن اللَّيل[٧]، ثمَّ ناموا ونمت أنا معه، وأقبل يعلِّلني بالحديث، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلمَّا تهوَّرت النُّجوم[٨] إذا شيء قد رفع كِسْر البيت[٩]، فقال: مَن

(١) الحدب: جمع حدباء، وهي التي بدت حراقفها وعظم ظهرها. الحَدَابِير: جمع حِدْبَار وحِدْبير، بكسر الحاء فيهما، وهي: العجفاء الضَّامرة التي قد يبس لحمها مِن الهزال.

(٢) ما يقطر منها لبن. يقال بض الماء إذا قطر وسال. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) (١٣٢/١).

(٣) جَلَّفَت: أصل الجَلَف: القَشْر، فكأنَّ السَّنَة قَشَرت المال، والجالفة: السَّنة التي تذهب بأموال النَّاس.

(٤) الصَّنْبر: الباردة، وليل الشِّتاء طويل، ويزيده الجوع طولاً.

(٥) تضاغى الصبية: بكوا وصاحوا انظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) (٩٢/٣).

(٦) نصَّ في ((اللِّسان)) على أنَّه (قد جاء في الشِّعر أصيبية، كأنَّه تصغير أصبية).

(٧) طائفة منه انظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) (٢٤٩/٥).

(٨) تهوَّرت النُّجوم: ذهب أكثرها.

(٩) كِسْر البيت: أسفل الشِّقَّة التي تلي الأرض مِن الخباء مِن حيث يُكْسَر جانباه مِن عن يمينٍ ويسار.

هذا؟ فولَّى ثمَّ عاد، فقال: مَن هذا؟ فولَّى ثمَّ عاد في آخر اللَّيل، فقال: مَن هذا؟ فقالت: جارتك فلانة، أتيتك مِن عند أصيبية يتعاوون عواء الذِّئاب مِن الجوع، فما وجدت معوَّلًا إلَّا عليك أبا عدي، فقال: والله لأشبعنَّهم، فقلت: مِن أين؟ قال: لا عليك، فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإيَّاهم، فأقبلت المرأة تحمل ابنين ويمشي جانبيها أربعة، كأنَّها نعامة حولها رئالها[١]، فقام إلى فرسه فوجأ[٢] لبته[٣] بمديته، فخر، ثمَّ كشطه، ودفع المدية إلى المرأة، فقال: شأنك (الآن)، فاجتمعنا على اللَّحم، فقال: سوأة! أتأكلون دون الصِّرم؟![٤]، ثمَّ جعل يأتيهم بيتًا بيتًا ويقول؛ هبُّوا أيُّها القوم، عليكم بالنَّار، فاجتمعوا، والْتَفَع[٥] بثوبه ناحيةً ينظر إلينا، لا والله ما ذاق منه مُزْعَة[٦]، وإنَّه لأحوج إليه منَّا، فأصبحنا وما على الأرض مِن الفرس، إلَّا عظم أو حافر، (فعذلته[٧] على ذلك)، فأنشأ حاتم يقول:

مهلًا نوار أقلِّي اللَّوم والعذلا[٨] ولا تقولي لشيء فات: ما فعلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكه مهلًا، وإن كنت أعطي الجنَّ والخَبَلا[٩]

يرى البخيل سبيل المال واحدة إنَّ الجَوَاد يرى في ماله سبلا

(١) جمع رئال: وهو ولد النعام. ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص ١٠٠٢).
(٢) وجأ: ضرب. ((لسان العرب)) لابن منظور (١/١٩٠).
(٣) اللبة: موضع المنحر من كل شيء. ((لسان العرب)) لابن منظور (١/٧٣٣)
(٤) الصِّرم، بالكسر: الأبيات المجتمعة المنقطعة مِن النَّاس. ((المصدر السابق)) (١٢/٣٣٨).
(٥) التفع: التحف بالثوب. انظر: ((المصدر السابق)) (٨/٣٢٠).
(٦) المزْعَة: القطعة مِن اللَّحم ونحوه. ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (١/٧٦٣).
(٧) عذلته: لمته. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/٤٣٧).
(٨) العذل: اللوم. ((المصدر السابق)) (١١/٤٣٧).
(٩) الخَبَل، بفتحتين: الجِنُّ، أو ضربٌ مِن الجِنِّ، يقال لهم: الخابل. ((المصدر السابق)) (١١/١٩٧).

لا تعذليني في مال وصلت به رحمًا، وخير سبيل المال ما وصلا[(١)]

و(قيل سأل رجل حاتمًا الطَّائي فقال: يا حاتم هل غلبك أحدٌ في الكَرَم؟ قال: نعم، غلام يتيم مِن طيئ، نزلت بفنائه وكان له عشرة أرؤس مِن الغنم، فعمد إلى رأس منها فذبحه. وأصلح مِن لحمه، وقدَّم إليَّ، وكان فيما قدَّم إليَّ الدِّماغ، فتناولت منه فاستطبته، فقلت: طيِّبٌ والله. فخرج مِن بين يدي، وجعل يذبح رأسًا رأسًا، ويقدِّم إليَّ الدِّماغ وأنا لا أعلم. فلمَّا خرجت لأرحل نظرت حول بيته دمًا عظيمًا، وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره. فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: يا سبحان الله! تستطيب شيئًا أملكه فأبخل عليك به، إنَّ ذلك لسُبَّة على العرب قبيحة. قيل يا حاتم: فما الذي عوَّضته؟ قال: ثلاثمائة ناقة حمراء وخمسمائة رأس مِن الغنم، فقيل أنت إذًا أَكْرَم منه، فقال: بل هو أكرم، لأنَّه جاد بكلِّ ما يملكه، وإنَّما جُدت بقليل مِن كثير)[(٢)].

عبد الله بن جُدْعَانَ:

مِن الكُرَماء المشهورين في العصر الجاهلي: عبد الله بن جُدْعَان، فقد اشتهر بكرمه وجوده، وسخائه وعطائه.

و(كان عبد الله بن جُدْعَانَ مِن مُطْعِمي قريش، كهاشم بن عبد مناف، وهو أوَّل مَن عمل الفالوذ للضَّيف، وقال فيه أميَّة بن أبي الصَّلت.

---

(١) ((الشِّعر والشُّعراء)) للدينوري (١/٢٣٨)، والرِّحْم، بكسر الرَّاء وسكون الحاء، والرَّحِم، بفتح فكسر: القرابة. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/٢٣٢)..

(٢) ((المستجاد مِن فعلات الأجواد)) للتنوخي (ص ١١١).

له داع بمكَّة مُشْمَعِلٌّ[(١)] وآخر فوق دارته[(٢)] ينادي
إلى درج من الشِّيزَى[(٣)] ملاء[(٤)] لُباب البُرِّ يُلْبَكُ[(٥)] بالشِّهادِ[(٦)]

وكانت له جِفَان يأكل منها القائم والرَّاكب)[(٧)].

و(حدَّث إبراهيم بن أحمد قال: قَدِمَ أميَّة بن أبي الصَّلت مكَّة، على عبد الله بن جُدْعَان، فلمَّا دخل عليه قال له عبد الله: أمرٌ ما، جاء بك. فقال أميَّة: كلاب غرمائي قد نبحتني ونهشتني[(٨)]. فقال له عبد الله: قدمت عليَّ وأنا عليل مِن ديون لزمتني، فأنظرني قليلًا يجمُّ ما في يدي، وقد ضمنت قضاء دينك ولا أسأل عن مبلغه، فأقام أميَّة أيامًا وأتاه فقال:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إنَّ شيمتك الحَيَاء؟
وعلمك بالأمور وأنت قَرْم لك الحسب المهذَّب والثَّناء
كريم لا يغيِّره صباح عن الخُلُق الجميل ولا مساء
تباري الرِّيح مكرمة وجودًا إذا ما الكلب أجحره الشِّتاء
إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرُّضه الثَّناء

(١) اشمعل القوم في الطلب اشمعلالا إذا بادروا فيه وتفرقوا. ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/٣٧٢).
(٢) الدارة: الدار. ((المصدر السابق)) (٤/٢٩٩).
(٣) الشيزى: الجفان التي تسوى من شجرة الشيزى. ((المصدر السابق)) (٥/٣٦٣).
(٤) ملاء: مملوءة. ((المصدر السابق)) (١/١٥٨).
(٥) يلبك: يخلط. ((المصدر السابق)) (١٠/٤٨٢).
(٦) الشهاد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه. ((المصدر السابق)) (٣/٢٤٣).
(٧) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٣/٢٣٩).
(٨) النهش: تناول الشيء بفمه ليعضه فيؤثر فيه ولا يجرحه. ((لسان العرب)) لابن منظور (٦/٣٦٠).

إذا خلفت عبد الله فاعلم   بأنَّ القوم ليس لهم جزاء
فأرضك كلُّ مكرمة بناها   بنو تميم وأنت لها سماء
فأبرز فضله حقًّا عليهم   كما برزت لناظرها السَّماء
وهل تخفى السَّماء على بصير   وهل للشَّمس طالعة خفاء

فلمَّا أنشده أميَّة هذه الأبيات كانت عنده قينتان، فقال لأميَّة: خذ أيتهما شئت، فأخذ إحداهما وانصرف. فمرَّ بمجلس مِن مجالس قريش، فلاموه على أخذها، وقالوا: لقد أجحفت به في انتزاعها منه، فلو رددتها عليه، فإنَّ الشَّيخ يحتاج إلى خدمتهما، لكان ذلك أقرب لك عنده وأَكْرَم مِن كلِّ حقٍّ ضمنته لك. فوقع الكلام مِن أميَّة موقعًا وندم، فرجع إليه ليردَّها عليه، فلمَّا أتاه بها قال له ابن جُدْعَان: لعلَّك إنَّما رددتها لأنَّ قريشًا لاموك على أخذها، وقالوا لك كذا وكذا، ووصف لأميَّة ما قال له القوم، فقال أميَّة: والله ما أخطأت يا أبا زهير ممَّا قالوا شيئًا. قال عبد الله: فما الذي قلت في ذلك؟ فقال أميَّة:

عطاؤك زَيْنٌ لامرئ إن حبوته[1]   ببذل وما كلُّ العطاء يزين
وليس بشين لامرئٍ بذل وجهه   إليك كما بعض السُّؤال يشين

فقال له عبد الله: خذ الأخرى، فأخذهما جميعًا وخرج، فلمَّا صار إلى القوم بهما أنشأ يقول:

ذكر ابن جُدْعَان بخيـ   ـرٍ كلَّما ذُكِر الكِرَام
مَن لا يجور ولا يعقُّ   ولا يُبخلُه اللِّئام
يهب النَّجيبة والنَّجيب   له الرِّجال والزمام)[2]

(١) حبوته: أعطيته. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/١٦٢).
(٢) ((المستجاد من فعلات الأجواد)) للتنوخي.

و(كان عبد الله بن جُدْعَان التيميُّ حين كَبر أخذ بنو تيم عليه، ومنعوه أن يعطي شيئًا مِن ماله، فكان الرَّجل إذا أتاه يطلب منه قال: ادن منِّي، فإذا دنا منه لطمه، ثمَّ قال: اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تيم مِن ماله.

وفيه يقول ابن قيس:

والذي إن أشار نحوك لطمًا تبع اللَّطم نائل وعطاء

وابن جُدْعَان هو القائل:

إنِّي وإن لم ينل مالي مدى خُلُقِي وهاب ما ملكت كفِّي مِن المال

لا أحبس المال إلَّا ريث أتلفه ولا تغيِّرني حال عن الحال)[1]

- **نماذج مِن كرم النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وجوده:**

لقد مثَّل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الجُود والكَرَم، فكان أجود النَّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود بالخير مِن الرِّيح المرسلة.

(وقد بلغ صلوات الله عليه مرتبة الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء، إذ كان يعطي عطاء مَن لا يحسب حسابًا للفقر ولا يخشاه، ثقة بعظيم فضل الله، وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم)[2].

- عن موسى بن أنسٍ، عن أبيه، قال: ((ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئًا إلَّا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا

---

(١) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة الدينوري (١/٤٥٨).

(٢) ((الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها)) لعبد الرَّحمن الميداني (٢/٣٧٧).

بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ محمَّدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة))[١].

- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو كان لي مثل أحدٍ ذهبًا ما يسرُّني أن لا يمرَّ عليَّ ثلاثٌ، وعندي منه شيءٌ إلَّا شيءٌ أرصدُهُ لدينٍ))[٢].

(إنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم، يقدِّم بهذا النَّموذج المثالي للقدوة الحسنة، لاسيَّما حينما نلاحظ أنَّه كان في عطاءاته الفعليَّة، مطبِّقًا لهذه الصُّورة القوليَّة التي قالها، فقد كانت سعادته ومسرَّته عظيمتين حينما كان يبذل كلَّ ما عنده مِن مال.

ثمَّ إنَّه يربِّي المسلمين بقوله وعمله على خُلُق حبِّ العطاء، إذ يريهم مِن نفسه أجمل صورة للعطاء وأكملها)[٣].

- وعن جبير بن مطعمٍ، أنَّه بينا هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه النَّاس، مقبلًا مِن حنينٍ، عَلِقَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرَةٍ، فَخطِفَتْ رداءه، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِضَاهِ نَعَمًا، لقسمته بينكم، ثمَّ لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا))[٤].

- وأهدت امرأة إلى النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام شملةً منسوجة، فقالت:

(١) رواه مسلم (٢٣١٢).
(٢) رواه البخاري (٢٣٨٩).
(٣) ((الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها)) لعبد الرَّحمن الميداني (٢/٣٧٨).
(٤) رواه البخاري (٣١٤٨).

((يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل مِن الصَّحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه! فاكْسُنِيها، فقال: نعم، فلمَّا قام النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجًا إليها، ثمَّ سألته إيَّاها، وقد عرفت أنَّه لا يُسْأَل شيئًا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لعلِّي أكفَّن فيها))(١).

- وكان صلى الله عليه وسلم يُؤْثِر على نفسه، فيعطي العطاء ويمضي عليه الشَّهر والشَّهران لا يُوقَد في بيته نارٌ(٢).

- (وكان كرمه صلى الله عليه وسلم كرمًا في محلِّه، ينفق المال لله وبالله، إمَّا لفقير، أو محتاج، أو في سبيل الله، أو تأليفًا على الإسلام، أو تشريعًا للأمَّة، وغير ذلك(٣).

فما أعظم كرمه وجوده وسخاء نفسه، صلى الله عليه وسلم، وما هذه الصِّفة الحميدة إلَّا جزءٌ مِن مجموع الصِّفات التي اتصف بها حبيبنا صلى الله عليه وسلم، فلا أبلغ ممَّا وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

- **نماذج مِن كرم الصَّحابة وجودهم:**

- عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطَّاب، يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدَّق، فوافق ذلك عندي مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٦).
(٢) ((مكارم الأخلاق)) لابن عثيمين (ص ٥٦).
(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٥٥).

ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا))[1].

- وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنَّه سمع أنس بن مالك، يقول: كان أبو طَلْحَة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة مالًا، وكان أحبَّ أمواله إليه بيرحى[2]، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب مِن ماءٍ فيها طيِّبٍ، قال أنسٌ: فلمَّا نزلت هذه الآية: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طَلْحَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنَّ الله يقول في كتابه: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾، وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحى، وإنَّها صدقةٌ لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بخٍ[3]، ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ، قد سمعتُ ما قلتَ فيها، وإنِّي أرى أن تجعلها في الأقربين))، فقسمها أبو طَلْحَة في أقاربه وبني عمِّه[4].

- (وقيل: مَرِض قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانه، فقيل له: إنَّهم يستحيون ممَّا لك عليهم مِن الدَّيْن، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان مِن

(١) رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترِّمذي (٣٦٧٥)، والدارمي (١/٤٨٠) (١٦٦٠)، والبزار (١/٣٩٤) (٢٧٠)، والحاكم (١/٥٧٤)، والبيهقي (٤/١٨٠) (٨٠٢٦). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترِّمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه، وقال البزَّار: [فيه] هشام بن سعد، حدَّث عنه جماعة كثيرة مِن أهل العلم، ولم نر أحدًا توقَّف عن حديثه ولا اعتلَّ عليه بعلَّة توجب التَّوقُّف عن حديثه. وصحَّحه النَّوويُّ في ((المجموع)) (٦/٢٣٦)، وابن دقيق العيد في ((الإلمام)) (١/٣٣٧) كما اشترط على نفسه في المقدِّمة، وحسَّنه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود))، والوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (٩٩٦).

(٢) اسم مال وموضع بالمدينة. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/١١٤).

(٣) كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه. ((شرح النووي على مسلم)) (٧/٨٥).

(٤) رواه مسلم (٩٩٨).

الزِّيارة، ثمَّ أمر مناديًا فنادى: مَن كان عليه لقيس بن سعد حقٌّ فهو منه بريء، قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة مَن زاره وعاده)[١].

- وقال عطاء: (ما رأيت مجلسًا قطُّ أَكْرَم مِن مجلس ابن عبَّاس، أكثر فقهًا، وأعظم جَفْنَةً، إنَّ أصحاب القرآن عنده، وأصحاب النَّحو عنده، وأصحاب الشِّعر، وأصحاب الفقه، يسألونه كلُّهم، يصدرهم في وادٍ واسعٍ)[٢].

- (وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عبَّاس، فأتى وجوه قريش فقال: يقول لكم عبيد الله: تغدوا عندي اليوم، فأتوه حتى ملئوا عليه الدَّار، فقال: ما هذا؟ فأُخْبِر الخبر، فأمر عبيد الله بشراء فاكهة، وأمر قومًا فطبخوا وخبزوا، وقدِّمت الفاكهة إليهم، فلم يفرغوا منها حتى وُضِعَت الموائد، فأكلوا حتى صدروا، فقال عبيد الله لوُكَلَائه: أَوَ موجود لنا هذا كلَّ يومٍ؟ قالوا: نعم، قال فليتغدَّ عندنا هؤلاء في كلِّ يوم)[٣].

- وقال المدائني: (أوَّل مَن سنَّ القِرَى إبراهيم الخليل عليه السَّلام. وأوَّل مَن هشم الثَّريد هاشمٌ. وأوَّل مَن فطَّر جيرانه على طعامه في الإسلام عبيد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما، وهو أوَّل مَن وضع موائده على الطَّريق، وكان إذا خرج مِن بيته طعامٌ لا يعاود منه شيءٌ، فإن لم يجد مَن يأكله تركه على الطَّريق)[٤].

- و(ذُكر أنَّ عبيد الله بن العبَّاس أتاه سائل وهو لا يعرفه، فقال له: تصدَّق عليَّ بشيءٍ، فإنِّي نُبِّئت أنَّ عبيد الله بن العبَّاس أعطى سائلًا ألف

(١) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزَّالي (٣/٢٤٧).

(٢) رواه ابن المبارك في ((الزُّهد)) (١١٧٥)، وأبو الشَّيخ في ((الكرم والجود وسخاء النُّفوس)) (٦٠)، والفاكهي في ((أخبار مكَّة)) (٢/٣٤٠) (١٦٢٨)، وأبو نعيم في ((معرفة الصَّحابة)) (٣٨٠٥).

(٣) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزَّالي (٣/٢٤٧).

(٤) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) للسفاريني (٢/١٥٠).

درهم واعتذر إليه، فقال: وأين أنا مِن عبيد الله فقال: أين أنت منه في الحسب أم في الكَرَم؟ قال: فيهما جميعًا، قال: أمَّا الحسب في الرَّجل فمروءته وفعله، وإذا شئت فعلتَ، وإذا فعلت كنت حسيبًا. فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه مِن ضيق نفقته. فقال له السَّائل: إن لم تكن عبيد الله بن العبَّاس فأنت خير منه، وإن كنت إيَّاه فأنت اليوم خير منك أمس، فأعطاه ألفًا أخرى، فقال له السَّائل: هذه هزَّة كريم حسيب)[1].

- وقال الأصمعيُّ: (حدَّثنا ابن عمران قاضي المدينة، أنَّ طَلْحَة كان يقال له: طَلْحَة الخير، وطَلْحَة الفيَّاض، وطَلْحَة الطَّلَحَات، وأنَّه فدى عشرة مِن أسارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنَّه سُئل برحم، فقال: ما سُئِلت بهذه الرَّحم قبل اليوم، وقد بعت حائطًا لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار، فإن شئت ارتجعته وأعطيتكه، وإن شئت أعطيتك ثمنه)[2].

- وقال المدائني: (إنَّما سمِّي طَلْحَة بن عبيد الله الخزاعي: طَلْحَة الطَّلَحَات، لأنَّه اشترى مائة غلام وأعتقهم وزوَّجهم، فكلُّ مولود له سمَّاه طلحة)[3].

• نماذج مِن السَّلف في الكَرَم والجُود:

- قال محمَّد بن صبيحٍ: (لما قدم أبو الزِّناد الكوفة على الصَّدقات، كلَّم رجلٌ حمَّاد بن أبي سليمان في رجلٍ يكلِّم له أبا الزِّناد، يستعين في بعض أعماله، فقال حمَّاد: كم يؤمِّل صاحبك مِن أبي الزِّناد أن يصيب معه؟ قال: ألف درهمٍ، قال: فقد أمرت له بخمسة آلاف درهمٍ، ولا يبذل وجهي

(١) ((المستجاد مِن فعلات الأجواد)) للتنوخي.
(٢) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة الدينوري (١/٤٥٤).
(٣) ((المصدر السابق)) (١/٤٦٦).

إليه، قال: جزاك الله خيرًا، فهذا أكثر ممَّا أمَّل ورجا. قال عثمان: وقال ابن السَّمَّاك: فكلَّمه آخر في ابنه أن يحوِّله مِن كتابٍ إلى كتاب، فقال للذي يكلِّمه: إنَّما نعطي المعلِّم ثلاثين كلَّ شهرٍ، وقد أجريناها لصاحبك مائة، دع الغلام مكانه)[1].

- (وكان أبو مرثد أحد الكُرَماء، فمدحه بعض الشُّعراء، فقال للشَّاعر: والله ما عندي ما أعطيك، ولكن قدِّمني إلى القاضي وادَّع عليَّ بعشرة آلاف درهم حتى أقرَّ لك بها، ثمَّ احبسني، فإنَّ أهلي لا يتركوني محبوسًا. ففعل ذلك، فلم يُمْس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم، وأُخْرِج أبو مرثد مِن الحبس)[2].

- وقال حمَّاد بن أبي حنيفة: (لم يكن بالكوفة أسخى على طعامٍ ومالٍ مِن حمَّاد بن أبي سليمان، ومِن بعده خلف بن حوشبٍ)[3].

- و(كان مورقٌ يتَّجر، فيصيب المال، فلا يأتي عليه جمعةٌ وعنده منه شيءٌ، وكان يأتي الأخ، فيعطيه الأربع مائةٍ والخمس مائةٍ، ويقول: ضعها لنا عندك. ثمَّ يلقاه بعد، فيقول: شأنك بها، لا حاجة لي فيها)[4].

- وقال عبد الله بن الوسيم الجمَّال: (أتينا عمران بن موسى بن طَلْحَة ابن عبيد الله نسأله في دينٍ على رجلٍ مِن أصحابنا، فأمر بالموائد فنُصِبَت، ثمَّ قال: لا، حتى تصيبوا مِن طعامنا، فيجب علينا حقُّكم وذمامكم، قال: فأصبنا مِن طعامه، فأمر لنا بعشرة آلاف درهمٍ في قضاء دينه، وخمسة آلاف درهمٍ نفقةً لعياله)[5].

(١) ((الكرم والجود وسخاء النُّفوس)) للبرجلاني (ص ٥٧).
(٢) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزَّالي (٣/٢٤٨).
(٣) ((الكرم والجود وسخاء النُّفوس)) للبرجلاني (ص ٥٥).
(٤) ((سير أعلام النُّبلاء)) للذَّهبي (٤/٣٥١).
(٥) ((الكرم والجود وسخاء النُّفوس)) للبرجلاني (ص ٥٥).

- و(كان هشام بن حسَّان إذا ذكر يزيد بن المهلَّب يقول: إن كادت السُّفن لتجري في جوده)[١].

- و(كان ناسٌ مِن أهل المدينة يعيشون لا يدرون مِن أين كان معاشهم، فلمَّا مات علي بن الحسين، فقدوا ذلك الذي كانوا يُؤْتَون باللَّيل)[٢].

- وقال أبو السَّوَّار العدويُّ: (كان رجالٌ مِن بني عدي يصلُّون في هذا المسجد، ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ قطُّ وحده، إن وجد مَن يأكل معه أكل، وإلَّا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع النَّاس، وأكل النَّاس معه)[٣].

- و(كان يقال للفضل بن يحيى: حاتم الإسلام... وكان يقال: حدِّث عن البحر ولا حرج، وعن الفضل ولا حرج)[٤].

- **نماذج مِن العلماء المعاصرين في الكَرَم والجُود:**

كرم الشَّيخ عبد العزيز بن باز[٥]:

لا يكاد يُعلم في زمان سماحة الشَّيخ أحدٌ أسخى ولا أجود ولا أَكْرَم مِن سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز، وذلك في وجوه السَّخاء، وصوره المتعدِّدة، ومِن هذه الصُّور:

١- كان مجبولًا على حبِّ الضُّيوف، والرَّغبة في استضافتهم منذ صغره.

---

(١) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٤/٣٦٤).

(٢) ((سير أعلام النُّبلاء)) للذَّهبي (٤/٣٩٣).

(٣) ((الكرم والجود وسخاء النُّفوس)) للبرجلاني (ص ٥٣).

(٤) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٤/٣٦٥).

(٥) ((جوانب مِن سيرة الإمام عبد العزيز بن باز)) محمد بن إبراهيم الحمد (١٨١-١٩٠) بتصرُّف واختصار.

٢- كان يوصي بشراءِ أحسن ما في السُّوق مِن الفاكهة، والتَّمر، والخضار، وسائر الأطعمة التي تقدَّم لضيوفه.

٣- وكان يلحُّ إلحاحًا شديدًا إذا قَدِم عليه أحدٌ أو سلَّم عليه، فكان يلحُّ عليهم بأن يحِلُّوا ضيوفًا عنده على الغداء، والعشاء، والمبيت، ولو طالت مدَّة إقامتهم.

٤- وكان يرغِّب القادمين إليه بأن يتواصلوا معه في الزِّيارة، فيذكِّرهم بفضل الزِّيارة، والمحبَّة في الله، ويسوق لهم الآثار الواردة في ذلك؛ ممَّا يبعثهم إلى مزيد مِن الزِّيارة؛ لأنَّ بعضهم لا يرغب في الإثقال على سماحة الشَّيخ وإضاعة وقته؛ فإذا سمع منه ذلك انبعث إلى مزيد مِن الزِّيارات.

٥- وكان لا يقوم مِن المائدة حتى يسأل عن ضيوفه: هل قاموا؟ فإذا قيل له: قاموا. قام؛ كيلا يعجلهم بقيامه قبلهم، وإذا قام قال: كلٌّ براحته، لا تستعجلوا.

٦- وإذا قَدِم الضُّيوف مِن بعيد، ثمَّ استضافهم وأكرمهم، وأرادوا توديعه ألحَّ عليهم بأن يمكثوا، وأن يتناولوا وجبة أخرى، وأن يبيتوا عنده؛ فلا ينصرفون منه إلَّا بعد أن يتأكَّد بأنَّهم مسافرون أو مرتبطون. بل إذا قالوا: إنَّهم مرتبطون، قال: ألا يمكن أن تتخلَّصوا مِن ارتباطكم؟ ألَا تهاتفون صاحب الارتباط، وتعتذروا منه؟

٧- وكان يفرح بالقادم إليه ولو لم يعرفه مِن قبل، خصوصًا إذا قدم مِن بعيد، أو لمصلحة عامَّة.

٨- ومِن لطائف كرمه أنَّه إذا قدم عليه قادم وهو في السَّيَّارة أخذ يتحفَّز، ويتحرَّك ويدعو القادم للركوب معه، ولو كان المكان ضيِّقًا، لكن سماحته يريه

أنَّه محبٌّ لصحبته، أو أن يأمر أحد السَّائقين التَّابعين للرِّئاسة ليوصله، أو أن يأخذ سيارة للأجرة؛ لتنقل مَن يأتون إليه إذا كانوا كثيرين.

٩- كان منزل أسرة سماحة الشَّيخ في الرِّياض، لا يتَّسع لكثرة الضُّيوف القادمين إليه، وكثيرًا ما يأتيه أناس بأُسَرِهم إمَّا مِن المدينة أو غيرها؛ إمَّا طلبًا لشفاعة أو مساعدة، أو نحو ذلك، فكانوا يسكنون عند سماحة الشَّيخ في المنزل.

حكمٌ وأمثالٌ في الكَرَم والجُود:

- أَقْرَى مِن زاد الركب:

زعم ابن الأعرابي أنَّ هذا المثل مِن أمثال قريش، ضربوه لثلاثة مِن أجودهم: مسافر بن أبي عمرو بن أميَّة، وأبي أميَّة بن المغيرة، والأسود بن عبد المطَّلب ابن أسد بن عبد العُزَّى، سُمُّوا زاد الركب؛ لأنَّهم كانوا إذا سافروا مع قومٍ لم يتزوَّدوا معهم[١].

- أَقْرَى مِن حَاسِي الذَّهب:

هذا أيضًا مِن قريش، وهو عبد الله بن جُدْعَان التَّيمي الذي قال فيه أبو الصَّلت الثَّقفيُّ:

لـه داعٍ بمـكَّـة مُـشْـمَـعِـلٌّ وآخـر فـوق دارتـه يـنـادي
إلى ردحٍ مـن الـشِّـيـزَى مـلاء لُـبـابَ الـبُـرِّ يُـلْـبَـكُ بـالـشِّـهـادِ

وسُمِّي (حاسي الذَّهب) لأنَّه كان يشرب في إناء مِن الذَّهب[٢].

(١) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١٢٧/٢).
(٢) ((المصدر السابق)).

- أَقْرَى مِن مطاعيم الرِّيح:

زعم ابن الأعرابي أنَّهم أربعة أحدهم: عمُّ محجن الثَّقفي، ولم يُسَم الباقين.

قال أبو النَّدى: هم كِنَانة بن عبد ياليل الثَّقفي عمُّ أبي محجن، ولبيد بن ربيعة، وأبوه، كانوا إذا هبَّت الصَّبا أطعموا النَّاس، وخصوا الصَّبا لأنَّها لا تهب إلَّا في جدب[1].

- (أَكْرَم مِن الأسد:

لأنَّه إذا شبع تجافى عمَّا يمرُّ به ولم يتعرَّض له.

- أَكْرَم مِن العُذَيْق المرجَّب:

تصغير عِذْق، وهو: النَّخلة، والمرجَّب: المدعوم، وإنَّما يُدْعَم لكثرة حِمْلِه وذاك كرمه، وأكثر العرب تنكِّره فتقول: مِن عُذَيْق مُرَجَّب)[2].

أجواد أهل الإسلام:

قال ابن عبد ربِّه: (وأمَّا أجواد أهل الإسلام فأحد عشر رجلًا في عصر واحد، لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم:

فأجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد: عبيد الله بن العبَّاس، وعبد الله بن جعفر، وسعيد بن العاص.

وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد وهم: عبد الله بن عامر بن كريز، وعبيد الله ابن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسلم بن زياد، وعبيد الله بن معمر القرشي ثمَّ التَّيمي، وطَلْحَة الطَّلَحَات، وهو طَلْحَة بن عبد الله بن خلف الخزاعي.

---

(١) ((مجمع الأمثال)) للميداني (٢/١٢٧).

(٢) ((المستقصى في أمثال العرب)) للزمخشري (١/٢٩٤).

وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد، وهم: عتَّاب بن ورقاء الرِّياحي، وأسماء بن خارجة الفَزَارِي، وعكرمة بن رِبْعِي الفيَّاض)[1].

الطَّلَحَات المشهورون بالكَرَم:

قال الأصمعي: الطَّلَحَات المعروفون بالكَرَم:

طَلْحَة بن عبيد الله التَّيمي، وهو الفيَّاض.

وطَلْحَة بن عمر بن عبيد الله بن معمر، وهو طَلْحَة الجواد.

وطَلْحَة بن عبد الله بن عوف الزُّهري، وهو طَلْحَة النَّدَى.

وطَلْحَة بن الحسن بن علي، وهو طَلْحَة الخير.

وطَلْحَة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وهو طَلْحَة الطَّلَحَات. سُمِّي بذلك لأنَّه كان أجودهم)[2].

الكَرَم والجُود في واحة الشِّعر:

قال كلثوم بن عمرو التَّغلبي -مِن شعراء الدَّولة العبَّاسية-:

إنَّ الكريمَ ليُخفي عنك عسرتَه ... حتى تراه غنيًّا وهو مجهودُ

وللبخيلِ على أموالِه عللٌ ... زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ

إذا تكرَّمتَ عن بذلِ القليلِ ولم ... تقدرْ على سعةٍ لم يظهرِ الجُودُ

بُثَّ النَّوَال ولا تمنعْك قلَّتُه ... فكلُّ ما سدَّ فقرًا فهو محمودُ[3]

---

(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (١/٢٤٥-٢٤٦).

(٢) ((تهذيب التَّهذيب)) لابن حجر العسقلاني (٥/١٧).

(٣) ((الحماسة البصرية)) لأبي الحسن البصري (٢/٦٣).

وقال المنتصر بن بلال الأنصاري:

الجُودُ مكرمةٌ والبخلُ مبغضةٌ لا يستوي البخلُ عندَ اللهِ والجُودُ
والفقرُ فيه شخوصٌ والغِنى دعةٌ والنَّاسُ في المالِ مرزوقٌ ومحدودُ[١]

وقال أحمد بن محمَّد بن عبد الله اليماني:

سأبذلُ مالي كلَّما جاء طالبٌ وأجعلُه وقفًا على القرضِ والفرضِ
فإمَّا كريمًا صنتُ بالجُودِ عرضَه وإما لئيمًا صنتُ عن لؤمِه عرضي[٢]

وقال حجبة بن المضَرَّب:

أناسٌ إذا ما الدَّهرُ أظلم وجهُه فأيديهم بيضٌ وأوجهُهم زهرُ
يصونون أحسابًا ومجدًا مؤثَّلًا ببذلِ أكفٍّ دونها المزْن[٣] والبحرُ
سَمَوا في المعالي رتبةً فوق رتبةٍ أحلَّتهم حيث النَّعائم والنَّسرُ
أضاءتْ لهم أحسابهم فتضاءلتْ لنورِهم الشَّمس المنيرة والبدرُ
فلو لامس الصَّخرُ الأصمُّ أكفَّهم أفاض ينابيعَ النَّدى ذلك الصَّخرُ
ولو كان في الأرضِ البسيطةِ منهمُ لمخْتَبِط عاف لما عرف الفقرُ
شكرتُ لكم آلاءَكم وبلاءَكم وما ضاع معروفٌ يكافئُه شكرُ[٤]

وقال آخر:

ويُظهرُ عيبَ المرءِ في النَّاسِ بخلُه ويسترُه عنهم جميعًا سخاؤُه
تغطَّ بأثوابِ السَّخاءِ فإنَّني أرى كلَّ عيبٍ والسَّخاءُ غطاؤه[٥]

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبَّان البستي (ص ٢٣٥).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٢٣٨).
(٣) المزن هو الغيم والسحاب ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/٤٠٦).
(٤) ((الأمالي)) للقالي (١/٥٤).
(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبَّان البستي (ص ٢٢٧).

وقال آخر:

حرٌّ إذا جئتَه يومًا لتسألَه أعطاك ما ملكتْ كفَّاه واعتذرا
يُخفي صنائعَه واللهُ يظهرُها إنَّ الجميلَ إذا أخفيته ظهرا[١]

وقال الراضي العبَّاسي:

لا تعذلوا كرمي على الإسرافِ ربحُ المحامدِ متجرُ الأشرافِ
إنِّي مِن القومِ الذين أكفُّهم معتادةُ الإتلافِ والإخلافِ[٢]

وقال حاتم الطَّائي:

أماوِيَّ إنَّ المال غادٍ ورائحٌ ويبقى مِن المال الأحاديثُ والذِّكرُ
أماوِيَّ إنِّي لا أقولُ لسائلٍ إذا جاء يومًا: حلَّ في ما لنا نذرُ
أماويَّ إمَّا مانعٌ فمبينٌ وإمَّا عطاءٌ لا يُنهْنِهُه الزَّجرُ
أماوِيَّ ما يُغني الثَّراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصَّدرُ
أماوِيَّ إن يصبحْ صداي بقفرةٍ مِن الأرضِ لا ماءٌ لديَّ ولا خمرُ
ترى أنَّ ما أنفقتُ لم يكُ ضرَّني وأنَّ يديَّ ممَّا بخلت به صفرُ
وقد علم الأقوامُ لو أنَّ حاتمًا أراد ثراءَ المالِ كان له وفرُ[٣]

وقال آخر:

لا تبخلنَّ بدُنْيَا وهي مقبلةٌ فليس ينقصها التَّبذير والسَّرفُ
فإن تولَّت فأحرى أن تجودَ بها فالشُّكرُ منها إذا ما أدبرت خلفُ[٤]

---

(١) ((المحاسن والأضَّداد)) للجاحظ (٩٢/١).
(٢) ((الأوراق قسم أخبار الشُّعراء)) للصولي (٥٤/٢).
(٣) ((الشِّعر والشُّعراء)) للدينوري (٢٣٩/١).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبَّان البستي (ص ٢٦٢).

وقال أحمد بن إبراهيم العبرتاني:

لا تكثري في الجُودِ لائمتي وإذا بخلتُ فأكثري لومي

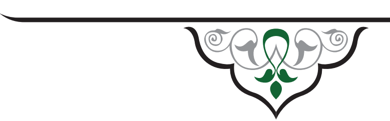
كُفِّي فلست بحاملٍ أبدًا ما عشتُ همَّ غدٍ على يومي[1]



(١) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزَّمخشري (٤/٣٦٩).



حُسْنُ الظَّن



حسن الظَّن

معنى حُسْن الظَّن لغةً واصطلاحًا:

• معنى الحُسْن لغةً:

الحُسْن نقيض القُبْح، يقال: رجل حَسَنٌ، وامرأة حَسَنَةٌ. وقالوا: امرأة حَسْنَاء، ولم يقولوا: رجل أَحْسَن. والحَاسِن: القَمَر. وحسَّنت الشيء تحْسِينًا: زيَّنته. وهو يُحْسِن الشيء، أي يعمله. ويَسْتَحْسِنه: يعدُّه حَسَنًا. والحَسَنَة: خلاف السَّيئة. والمحَاسِن: خلاف المساوي[١].

• معنى الظَّن لغةً:

الظَّن: شك ويقين، إلا أنَّه ليس بيقين عيان، إنَّما هو يقين تدبُّر... وجمع الظَّن الذي هو الاسم: ظُنُون[٢].

• معنى الظَّن اصطلاحًا:

قال الجرجاني: (الظَّن هو الاعتقاد الرَّاجح مع احتمال النَّقيض، ويستعمل في اليقين والشَّك، وقيل: الظَّن أحد طرفي الشَّك بصفة الرُّجحان)[٣].

معنى حُسْن الظَّن اصطلاحًا:

ترجيح جانب الخير على جانب الشَّر[٤].

الفرق بين الظَّن وصفات أخرى:

• الفرق بين الظَّن والحُسْبَان:

قيل: الظَّن ضرب من الاعتقاد، وقد يكون حُسْبَان لكن ليس باعتقاد.

---

(١) انظر: ((الصحاح)) للجوهري (٥/٢٠٩٩).
(٢) انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/٢٧٢).
(٣) ((التعريفات)) (١/١٨٧).
(٤) ((نضرة النعيم)) (٥/١٧٩٧).

قال أبو هلال: أصل الحُسْبَان من الحِساب، تقول: أَحْسَبه بالظَّن قد مات. كما تقول: أَعُدُّه قد مات. ثمَّ كَثُر حتى سُمي الظَّن: حُسْبَانًا على جهة التَّوسع، وصار كالحقيقة بعد كثرة الاستعمال. وفرق بين الفعل منهما، فيقال في الظَّن: حَسِب. وفي الحِسَاب: حَسَب. ولذلك فرق بين المصدرين فقيل: حَسَب وحُسْبَان، والصحيح في الظَّن ما ذكرناه[1].

• الفرق بين الشَّك والظَّن والوَهْم:

الشَّك: خلاف اليقين، وأصله اضطراب النَّفس، ثم استعمل في التَّردُّد بين الشَّيئين سواء استوى طرفاه، أو ترجَّح أحدهما على الآخر. قال تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [يونس: ٩٤] أي: غير مستيقن. وقال الأصوليون: هو تردُّد الذهن بين أمرين على حدٍ سواء.

وقيل: التَّردُّد بين الطَّرفين إن كان على السَّواء فهو الشَّك، وإلا فالرَّاجح: ظنٌّ، والمرجوح: وهمٌ[2].

• الفرق بين الظَّن والتَّصَوُّر:

أنَّ الظَّن ضربٌ من أفعال القلوب، يحدث عند بعض الأمارات، وهو رُجْحان أحد طرفي التَّجوُّز، وإذا حدث عند أمارات غلبت وزادت بعض الزيادة، فظَنَّ صاحبه بعض ما تقتضيه تلك الأمارات، سمي ذلك: غلبة الظَّن، ويستعمل الظَّن فيما يُدرك وفيما لا يُدرك.

والتَّصَوُّر يستعمل في المدْرَك دون غيره، كأنَّ المدْرَك إذا أدركه المدْرِك تصَوَّر نفسه، والشَّاهد أنَّ الأعراض التي لا تُدرك لا تُتَصوَّر، نحو: العلم والقدرة،

---

(١) انظر: ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (١/٣٤٣).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (١/٣٠٤).

والتَّمثُّل مثل التَّصَوُّر إلَّا أنَّ التَّصَوُّر أبلغ؛ لأنَّ قولك: تَّصَوَّرت الشَّيء. معناه: أنِّي بمنزلة من أبصر صورته، وقولك: تمثَّلته. معناه: أنِّي بمنزلة من أبصر مثاله، ورؤيتك لصورة الشَّيء أبلغ في عِرفَان ذاته من رؤيتك لمثاله[(١)].

التَّرغيب في حُسْن الظَّن:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

قال ابن عاشور في تفسيره: (فيه تنبيه على أنَّ حقَّ المؤمن إذا سمع قَالَةً في مؤمن، أن يبني الأمر فيها على الظَّن لا على الشَّك، ثم ينظر في قرائن الأحوال وصلاحية المقام، فإذا نسب سوء إلى من عرف بالخير، ظنَّ أن ذلك إفك وبهتان، حتى يتضح البرهان. وفيه تعريض بأنَّ ظنَّ السُّوء الذي وقع هو من خصال النِّفاق، التي سرت لبعض المؤمنين عن غرورٍ وقلة بَصارَة، فكفى بذلك تشنيعًا له)[(٢)].

وقال أبو حيان الأندلسي: (فيه تنبيه على أنَّ حقَّ المؤمن إذا سمع قَالَةً في أخيه، أن يبني الأمر فيه على ظنِّ الخير، وأن يقول بناء على ظنِّه: هذا إفك مبين، هكذا باللفظ الصريح ببراءة أخيه، كما يقول المستيقن المطَّلع على حقيقة الحال. وهذا من الأدب الحَسَن)[(٣)].

وقال الخازن: (والمعنى: كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول أهل الإفك

(١) انظر: ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (١/٣٤٢).
(٢) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور (١٨/١٧٤- ١٧٥).
(٣) ((البحر المحيط في التفسير)) لأبي حيان الأندلسي (٨/٢١-٢٢).

أن يكذبوه ويحسنوا الظَّن، ولا يسرعوا في التُّهمة، وقول الزُّور فيمن عرفوا عفَّته وطهارته)[١].

- وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

قال ابن حجر الهيتمي: (عقَّب تعالى بأمره باجتناب الظَّن، وعلَّل ذلك بأنَّ بعض الظَّن إثم، وهو ما تخيَّلت وقوعه من غيرك من غير مستند يقيني لك عليه، وقد صمَّم عليه قلبك، أو تكلَّم به لسانك من غير مسوِّغ شرعي)[٢].

ويقول الطبري: (يقول تعالى ذكره: يا أيُّها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيراً من الظَّن بالمؤمنين، وذلك إن تظنوا بهم سوءًا، فإنَّ الظَّان غير محق، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ولم يقل: الظَّن كلَّه، إذ كان قد أَذِن للمؤمنين أن يظنَّ بعضهم ببعض الخير، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، فأَذِن الله جلَّ ثناؤه للمؤمنين أن يظنَّ بعضهم ببعض الخير، وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قِبِله فيهم على يقين.... عن ابن عباس، قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾يقول: نهى الله المؤمن أن يظنَّ بالمؤمن شرًّا. وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ يقول: إنَّ ظنَّ المؤمن بالمؤمن الشَّر لا الخير، إِثْمٌ؛ لأنَّ الله قد نهاه عنه، فَفِعْل ما نهى الله عنه إِثْمٌ)[٣].

---

(١) ((لباب التأويل في معاني التنزيل)) للخازن (٢٨٨/٣).

(٢) ((الزواجر عن اقتراف الكبائر)) للهيتمي (٩/٢).

(٣) ((تفسير الطبري)) (٣٠٣/٢٢-٣٠٤).

• ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((إيَّاكم والظَّن، فإنَّ الظَّن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا))[1].

قال النَّووي: (المراد: النَّهي عن ظنِّ السَّوء، قال الخطَّابي: هو تحقيق الظَّن وتصديقه دون ما يهجس في النَّفس، فإنَّ ذلك لا يُمْلَك. ومراد الخطَّابي أنَّ المحَرَّم من الظَّن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه، دون ما يعرض في القلب ولا يستقر، فإنَّ هذا لا يكلَّف به)[2].

قال الغزالي: (أي: لا يحقِّقه في نفسه بعقد ولا فعل، لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فبتغيره إلى النُّفرة والكراهة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه. والشَّيطان قد يقرِّر على القلب بأدنى مَخِيلة مَسَاءة النَّاس، ويلقي إليه أنَّ هذا من فطنتك، وسرعة فهمك وذكائك، وأنَّ المؤمن ينظر بنور الله تعالى، وهو على التَّحقيق ناظر بغرور الشَّيطان وظلمته)[3].

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، فقال: ((ما أعظم حُرْمَتك)). وفي رواية أبي حازم: ((لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، قال: مرحبًا بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حُرْمَتك، ولَلْمؤمن أعظم حُرْمَة عند الله منكِ، إنَّ الله حرَّم منكِ واحدة، وحرَّم من المؤمن ثلاثًا: دمه، وماله، وأن يُظنَّ به ظنَّ السَّوء))[4].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٢٢٨)، وأحمد (٨١٠٣)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٦٠٦٤).

(٢) ((شرح النووي على مسلم)) (١١٩/١٦).

(٣) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (١٥١/٣).

(٤) رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢٩٦/٥) (٦٧٠٦)، ضعَّف إسناده العراقي في ((تخريج =

قال الغزالي: (فلا يُستباح ظنُّ السُّوء إلا بما يُستباح به المال، وهو نفس مشاهدته أو بيِّنةٍ عادلةٍ. فإذا لم يكن كذلك، وخطر لك وسواس سوء الظَّن، فينبغي أن تدفعه عن نفسك، وتقرِّر عليها أنَّ حاله عندك مستور كما كان، وأنَّ ما رأيته منه يحتمل الخير والشَّر. فإنْ قلت: فبماذا يُعرف عقد الظَّن والشُّكوك تختلج، والنَّفس تحدِّث؟ فتقول: أمارة عقد سوء الظَّن أن يتغيَّر القلب معه عما كان، فينفِر عنه نُفُورًا ما، ويستثقله، ويفتر عن مراعاته، وتفقُّده وإكرامه، والاغتمام بسببه. فهذه أمارات عقد الظَّن وتحقيقه)[1].

- وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة وهو يقول: ((ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حُرْمَتك. والذي نفس محمَّد بيده، لحُرْمَة المؤمن أعظم عند الله حرْمَة منكِ، ماله ودمه، وأن نظنَّ به إلَّا خيرًا))[2].

أقوال السَّلف والعلماء في حُسْن الظَّن:

- قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: (لا يحلُّ لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظنُّ بها سوءًا، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا. وقال أيضًا: لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه)[3].

= الإحياء)) (٣/١٨٦)، وقال في موضع آخر (٢/٢٢١): رجاله ثقات، وقال الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٣٤٢٠): إسناده حسن رجاله ثقات.

(١) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١٥١).

(٢) رواه ابن ماجه (٧٨٥)، قال البوصيري في ((زوائد ابن ماجه)) (٢/٢٨٤): إسناده فيه مقال. وقال ابن حجر في ((الكافي الشاف)) (٢٦٨): إسناده فيه لين. وقال السخاوي في ((المقاصد الحسنة)) (٥١٢): إسناده لين. وأورده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) رقم: (٣٤٢٠)، و ((صحيح الترغيب والترهيب)) رقم: (٢٤٤١).

(٣) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/٤٧).

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من علم من أخيه مروءة جميلة فلا يسمعنَّ فيه مقالات الرِّجال، ومن حَسُنت علانيته فنحن لسريرته أرجى)[١].

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنَّا إذا فقدنا الرَّجل في صلاة العشاء وصلاة الفجر، أسأنا به الظَّنَّ)[٢].

- وعن سعيد بن المسيَّب قال: (كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله: أن ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنَّن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملًا)[٣].

- وقال المهلب: (قد أوجب الله تعالى أن يكون ظنُّ المؤمن بالمؤمن حسنًا أبدًا، إذ يقول: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، فإذا جعل الله سوء الظَّن بالمؤمنين إفكًا مبينًا، فقد ألزم أن يكون حُسْن الظَّن بهم صدقًا بينًا)[٤].

- وروى معمر عن إسماعيل بن أمية قال: (ثلاث لا يعجزن ابن آدم، الطِّيرة، وسوء الظَّن والحسد. قال: فينجيك من سوء الظَّن أن لا تتكلم به، وينجيك من الحسد أن لا تبغي أخاك سوءًا، وينجيك من الطِّيرة أن لا تعمل بها)[٥].

- وقال قتادة: (إنَّ الظَّن اثنان: ظنٌّ يُنْجِي، وظنٌّ يُرْدِي)[٦].

---

(١) ذكره ابن بطال في ((شرح صحيح البخاري)) (٩/٢٦١).

(٢) رواه الطبراني (١٢/٢٧١) (١٣٠٨٥)، والبيهقي (٣/٥٩) (٥١٥٢). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢/٤٣): رجال الطبراني موثقون. وصحَّح إسناده الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٧/٢٠٩).

(٣) ((الاستذكار)) لابن عبد البر (٨/٢٩١).

(٤) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال (٩/٢٦١).

(٥) ((المصدر السابق)).

(٦) انظر: ((تفسير القرطبي)) (١٥/٣٥٣).

فوائد حُسْن الظَّن:

إن لم يكن في هذه الصِّفة إلَّا راحة القلب، وسلامة البال لكفى، كيف لا، وبها يسلم الإنسان من الخواطر الرَّديئة التي تقلقه، وتؤذي نفسه، وتجلب عليه كَدَرَ البال، وتعب النَّفس والجسد، ومن هنا نعرف فضيلة هذه الصِّفة الرَّائعة والخُلق الفاضل، وهذه جملة من فوائد حسن الظن:

١- حُسْن الظَّن علامة على كمال الإيمان في قلب المتحلِّي به، فلا يظنُّ بالمؤمنين خيرًا إلا من كان منهم، كما قال تبارك وتعالى في سورة النُّور: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النُّور: ١٢].

٢- فيه إغلاق باب الفتنة والشَّر على الشَّيطان الرَّجيم؛ فإنَّ من أبوابه سوء الظَّن بالمسلمين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، فمن يَحْكُم بشرٍّ على غيره بالظَّن، بعثه الشَّيطان على أن يطول فيه اللِّسان بالغيبة فيهلك، أو يقصر في القيام بحقوقه، أو يتوانى في إكرامه، وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرًا منه. وكل ذلك من المهلكات[1].

٣- طريق من طرق زيادة الألفة والمحبَّة بين أفراد المجتمع المسلم، وحماية له من التَّفكُّك والتَّشرذم.

٤- حصن منيع يحمي المجتمع من إشاعة الفاحشة، وانتشار الرَّذيلة، وبه يسلم المجتمع من انتِّهاك حقوق النَّاس وأعراضهم وخصوصياتهم.

٥- دليل على سلامة القلب وطهارة النَّفس، وزكاء الرُّوح.

---

(١) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/٣٦).

أقسام الظَّن:

- **ينقسم الظَّن من حيث الحمد والذم إلى قسمين:**

١- ظنٌّ محمود:

وهو ما عبرنا عنه هنا بحسن الظَّن، وهو المقصود هنا، قال القرطبي: (الظَّن في الشَّريعة قسمان: محمود ومذموم، فالمحمود منه: ما سلم معه دين الظَّان والمظنون به عند بلوغه. والمذموم ضدُّه)[١].

٢- ظنٌّ مذموم:

وهو ضد الأول المحمود، كما سبق في كلام القرطبي، ولزيادة توضيحه وبيانه نقول: هو ما تخيلت وقوعه من غيرك من غير مستند يقيني لك عليه، وقد صمَّم عليه قلبك، أو تكلَّم به لسانك من غير مسوِّغ شرعي[٢].

وهو سوء الظَّن المنهي عنه شرعًا، والذي حذرنا منه كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلم، وقد أجاز العلماء بعض صوره، قال أبو حاتم: (سوء الظَّن على ضربين:

أحدهما: منهي عنه بحكم النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلم.

والآخر: مستحب.

فأما الذي نهى عنه، فهو استعمال سوء الظَّن بالمسلمين كافةً، وأمَّا الذي يستحب من سوء الظَّن، فهو كمن بينه وبين آخر عداوة أو شحناء في دين أو دنيا، يخاف على نفسه من مَكْرِه، فحينئذ يلزمه سوء الظَّن بمكائده ومَكْرِه؛

---

(١) ((تفسير القرطبي)) (١٦/٣٣٢).

(٢) ((الزواجر عن اقتراف الكبائر)) للهيتمي (٢/٩).

كي لا يصادفه على غرَّة بمكره فيهلكه. قال الشَّاعر:

وحُسْن الظَّن يَحْسُن في أمور ويمكن في عواقبه ندامه
وسوء الظَّن يسمج[١] في وجوه وفيه من سماجته حزامه[٢]

صور حُسْن الظَّن:

١- حُسْن الظَّن بالله:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: ((لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحْسِن الظَّن بالله عزَّ وجلَّ))[٣].

فإحسان الظَّن بالله تبارك وتعالى واجب، وهو أُنْسٌ للعبد في حياته، ومَنْجَى له بعد مماته، قال النَّووي في شرحه على صحيح مسلم: (قال العلماء: معنى حُسْن الظَّن بالله تعالى: أن يَظُنَّ أنَّه يرحمه، ويعفو عنه. قالوا: وفي حالة الصِّحَّة يكون خائفًا، راجيًا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح. فإذا دنت أمارات الموت، غلَّب الرَّجاء، أو محَّضه؛ لأنَّ مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي، والقبائح، والحرص على الإكثار من الطَّاعات، والأعمال، وقد تعذَّر ذلك، أو معظمه في هذا الحال، واستُحِبَّ إحسان الظَّن المتضمِّن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له)[٤].

وقال ابن القيِّم: (كلما كان العبد حَسن الظَّن بالله، حَسن الرَّجاء له، صادق التوكُّل عليه: فإنَّ الله لا يخيِّب أمله فيه البتَّة؛ فإنَّه سبحانه لا يخيِّب

---

(١) يسمج: يقبح ((القاموس المحيط)) (ص ١٩٤).
(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٢٧).
(٣) رواه مسلم (٢٨٧٧).
(٤) انظر: ((شرح النووي على مسلم)) (٩/٢٥٦).

أمل آملٍ، ولا يضيِّع عمل عاملٍ، وعبَّر عن الثقة وحُسْن الظَّن بالسَّعة؛ فإنَّه لا أشرح للصَّدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله، ورجائه له، وحُسْن ظنِّه به)[1]. وقال أيضًا: (فعلى قدر حُسْن ظنِّك بربِّك ورجائك له، يكون توكُّلك عليه؛ ولذلك فَسَّر بعضهم التَّوكُّل بحُسْن الظَّن بالله، والتَّحقيق: أنَّ حُسْن الظَّن به يدعوه إلى التوكُّل عليه، إذ لا يُتَصَوَّر التَّوكُّل على من ساء ظنك به، ولا التَّوكُّل على من لا ترجوه)[2].

وقال داود الطَّائي: (ما نعوِّل إلا على حُسْن الظَّن بالله تعالى، فأمَّا التَّفريط فهو المستولي على الأبدان)[3].

٢- حُسْن الظَّن بين الرؤساء والمرؤوسين:

لا ينتظم أمر هذه الأمَّة إلا بالعلاقة الحسنة بين أفرادها رؤساء ومرؤوسين، لذا كان من وصيَّة عليٍّ رضي الله عنه للأشتر عندما ولَّاه مصر: (اعلم أنَّه ليس شيء أدعى إلى حُسْن ظنِّ والٍ برعيَّته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عنهم، وترك استكراهه إيَّاهم على ما ليس له قِبَلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حُسْن الظَّن برعيتك، فإنَّ حُسْن الظَّن يقطع عنك نصبًا طويلًا، وإنَّ أحقَّ من حَسُن ظنُّك به، لمنْ حَسُن بلاؤك عنده، وإنَّ أحقَّ مَنْ ساء ظنُّك به، لمنْ ساء بلاؤك عنده...)[4].

وقال طاهر بن الحسين لابنه وهو يوصيه: (ولا تتَّهمنَّ أحدًا من النَّاس فيما تولِّيه من عملك قبل أن تكشف أمره، فإنَّ إيقاع التُّهم بالبرآء، والظُّنون السَّيئة

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٤٧١/١).
(٢) ((المصدر السابق)) (١٢١/٢).
(٣) ((محاسبة النفس)) لابن أبي الدنيا (٤٦/١).
(٤) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (٣١٨/١ - ٣١٩).

بهم مَأْثَمٌ، واجعل من شأنك حُسْن الظَّن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظَّن بهم، وارفضه فيهم، يعينك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم، لا يجدنَّ عدوُّ الله الشَّيطان في أمرك مفخرًا، فإنَّه إنَّما يكتفي بالقليل من وهنك، فيُدخل عليك من الغمِّ في سوء الظَّن ما ينغصك لذاذة عيشك، واعلم أنَّك تجد بحُسْن الظَّن قوة وراحة، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك، وتدعو به النَّاس إلى محبَّتك، والاستقامة في الأمور كلِّها لك، ولا يمنعك حُسْن الظَّن بأصحابك والرأفة برعيَّتك، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك، والمباشرة لأمور الأولياء، والحياطة للرَّعيَّة، والنَّظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم، آثر عندك مما سوى ذلك، فإنَّه أقوم للدِّين، وأحيا للسُّنَّة)[١].

٣- حُسْن الظَّن بالإخوان والأصدقاء:

على المسلم أن يُحِسَن الظَّن بإخوانه المسلمين عامَّة، وبأصدقائه المقرَّبين خاصَّة، وهذا ما أرشدنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيَّن أنه واجب على المسلم تجاه أخيه المسلم، فيجب على المسلم أن يلتمس لإخوانه الأعذار ما استطاع، ويحمل عليها ما يبلغه عنهم من قول أو فعل. فإذا لم يجد محملًا، فليقل: لعل لهم عذرًا لم أعرفه.

فإذا لم تطق ما سمعت من قول أو فعل أو تصرف، فاذهب إلى أخيك وصارحه بالأمر، وبيِّن له، فإنْ كان أخطأ بادر بتصحيح خطئه، وإن لم يكن كذلك أزال ما في قلبك من لَبْس، وبيَّن لك حقيقة الأمر فتطيب نفسك بذلك.

(إنَّ الخطأ في حُسْن الظَّن بالمسلم، أسلم من الصَّواب بالطَّعن فيهم، فلو

---

(١) ((جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة)) لأحمد زكي (٣/١٣٦-١٣٧).

سكت إنسان مثلًا عن لعن إبليس، أو لعن أبي جهل، أو أبي لهب، أو من شاء من الأشرار طول عمره، لم يضرَّه السُّكوت، ولو هفا هفوة بالطَّعن في مسلم بما هو بريء عند الله تعالى منه فقد تعرض للهلاك، بل أكثر ما يُعْلم في النَّاس لا يحل النُّطق به؛ لتعظيم الشَّرع الزَّجر عن الغيبة، مع أنَّه إخبار عما هو متحقِّق في المغتاب. فمن يلاحظ هذه الفصول، ولم يكن في طبعه ميلٌ إلى الفضول، آثر ملازمته السُّكوت وحُسْن الظَّن بكافة المسلمين، وإطلاق اللِّسان بالثَّناء على جميع السَّلف الصَّالحين. هذا حكم الصَّحابة عامَّة)[١].

٤- حُسْن الظَّن بين الزَّوجين:

إنَّ إحسان الظَّن بين الزَّوجين من أهم الدَّعائم التي يُبْنى عليها البيت الدَّائم والمستقر والمطمئن، وبغير حُسْن الظَّن: فإنَّ البيوت مهدَّدة بالانهيار والتَّشرذم والفرقة والطَّلاق.

لا بد أن يكون بين الزَّوجين حُسْن ظنٍّ متبادلٍ، وألَّا يتركا للشَّيطان مجالًا للتَّلاعب بهما، وقذف الشُّكوك في قلبيهما؛ لأنَّه متى ما انفتح باب إساءة الظَّن بينهما صعب إغلاقه، وجرَّ ذلك إلى ويلات قد تهدِّد استقرار البيت بأكمله.

هناك الكثير من الأزواج والزَّوجات أصحاب طبيعة قلقة، وأنفس متوتِّرة، يغلِّبون جانب الشُّكوك على جانب السَّلامة، فتراهم يجنحون إلى سوء الظَّن، ويفسِّرون الأمور على أسوأ تفسيراتها وأردأ احتمالاتها، وفي هذا خطر كبير على استمرار الحياة الأسرية، فينبغي على الأزواج والزَّوجات أن يغلِّبوا حسْن الظَّن، ويطردوا الشَّك والرِّيبة.

---

(١) ((الاقتصاد في الاعتقاد)) لأبي حامد الغزالي (١/٧٩).

موانع اكتساب حُسْن الظَّن:

١- العيش في مجتمع يغلب عليه سوء الظَّن، وانتشار الشُّكوك في أفراده.

٢- التَّربية منذ الصِّغر على سوء الظَّن وتغليب جانب التُّهمة على السَّلامة.

٣- الجهل بأحكام الدِّين الحنيف، والابتعاد عن تعاليمه الدَّاعية إلى حُسْن الظَّن.

٤- الجهل بهذه الصِّفة الطَّيبة وآثارها الجميلة في المجتمع.

٥- مصاحبة الأشرار: فقرناء السُّوء لهم تأثير كبير في هذا الجانب، فمن عاشرهم وخالطهم أورثوه من أخلاقهم، وأعطوه من صفاتهم، قال أبو حاتم البستي: (العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأنَّ مَوَدَّة الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تورث سوء الظَّن بالأخيار، ومن خَادَن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم)[1].

٦- الحسد والغلُّ والحقد، وهذه الصِّفات تدعو إلى سوء الظَّنِّ بالإخوان النَّاشئ عن تمنِّي الشَّر لهم.

الوسائل المعينة على اكتساب حُسْن الظَّن:

١- دعاء الله سبحانه، والابتهال إليه حتى يمن عليك بقلب سليم، فالدُّعاء علاج ناجع، ووسيلة نافعة، ليس لهذه الصِّفة فحسب، بل لجميع الأمور الدينيَّة والدنيويَّة.

٢- الاقتداء بالرَّسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، وسلف

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (٩٩-١٠٠).

الأمَّة الصَّالح في حُسْن ظنِّهم ببعضهم، وتعاملهم مع الإشاعات والأكاذيب، ومحافظتهم على أواصر الحبِّ والموَدَّة بينهم.

٣- التَّربية الحسنة للأبناء منذ نعومة أظفارهم، على حُسْن الظَّن، فينمو الفرد، ويترعرع في ظلِّ هذه الصِّفة الحميدة، فتتجذَّر في نفسه، وتتأصَّل في داخله، وتصبح سجيَّة له لا تنفك عنه أبدًا بإذن الله.

٤- أن ينزل المرء نفسه منزلة غيره، وهو علاج ربَّاني، ودواء قرآني، أرشد الله إليه المؤمنين، وعلَّمهم إيَّاه، حيث قال: ﴿**لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا**﴾ [النُّور: ١٢] فأشعرهم تبارك وتعالى أنَّ المؤمنين كيان واحد، وضرر الفرد منهم ضرر للجماعة بأكملها.

ولو استشعر كلُّ مؤمن هذا الأمر عند صدور فعل أو قول من أخيه، فوضع نفسه مكانه، لدعاه ذلك إلى إحسان الظَّن بالآخرين.

٥- محاولة زيادة الإيمان بفعل الخيرات والطَّاعات، وعلاج أمراض القلب من الحسد والغلِّ والخيانة وغيرها، فمتى ما زاد إيمان المرء وصفى قلبه من هذه الأمراض والأوبئة، حَسُن ظنُّه بإخوانه.

٦- حمل الكلام على أحسن محامله ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

٧- أن يلتمس المؤمن الأعذار للمؤمنين، قال ابن سيرين: (إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد، فقل: لعل له عذرًا لا أعرفه)[1].

وفي التماس الأعذار راحة للنَّفس من عناء الظَّن السَّيئ، الذي يشغلها ويقلقها، وفيه أيضًا إبقاء على الموَدَّة، وحفاظ عليها من الزوال والانتهاء.

(١) ((روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)) للأماسي (١/ ٧٠).

تأن ولا تعجل بلومك صاحبا   لعلَّ له عذرًا وأنت تلوم[١]

٨- إجراء الأحكام على الظاهر، ويوكل أمر الضَّمائر إلى الله عز وجل، ويتجنَّب الحكم على النِّيَّات، فإنَّ الله لم يكلِّفنا أنَّ نفتِّش في ضمائر النَّاس.

والاكتفاء بظاهر الشَّخص، والحكم عليه من خلاله، من أعظم بواعث حُسْن الظَّن، وأقوى أسبابها.

٩- أن يستحضر العبد الآفات التي تنتج عن سوء الظَّن، وما يترتب عليه من آثار، فهو دافع لأن يُحْسِن الرَّجل ظنَّه بغيره.

١٠- البعد عن كلِّ من اتصف بما يضادُّ هذه الصِّفة الحسنة، ممن لا يتورَّعون عن إلقاء التُّهم على عباد الله جزافًا، بلا تثبُّت. وهؤلاء هم أسوأ النَّاس، فقد قيل لبعض العلماء: من أسوأ النَّاس حالًا؟ قال: من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله[٢].

نماذج لحُسْن الظَّن:

- **نموذج من حياة النَّبي صلى الله عليه وسلم:**

علَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم حُسْن الظَّن، وبيَّن لهم أنَّ الأصل في المؤمن السَّلامة، وأنَّ الإنسان لا بدَّ له من التماس الأعذار لمن حوله، وعليه أن يطرد الشُّكوك والرِّيبة التي قد تدخل في قلبه، فيترتَّب عليها من الآثار ما لا يُحْمَد عقباه، فهذا رجل جاء إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم وقد داخلته الرِّيبة في امرأته، وأحاطت به ظنون السُّوء

(١) ((المستقصى في أمثال العرب)) للزمخشري (٢/٢٨٢).
(٢) انظر: ((البرصان والعرجان والعميان والحولان)) للجاحظ (ص ٣٢)، بتصرف يسير.

فيها؛ لأنَّها ولدت غلامًا أسود، على غير لونه ولونها، فأزال النَّبي صلى الله عليه وسلم ما في قلبه من ظنٍّ وريبة، بسؤاله عن لون إبله، فقال: ((ألوانها حمر. قال: هل فيها من أورق[1]؟ قال: نعم. قال: فأنَّى ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزعه عرق[2]))[3].

- **نموذج من الصَّحابة رضي الله عنهم:**

وقد كان الصَّحابة رضوان الله عليهم، مثالًا يُحتذى بهم في حُسْن الظَّن بالمؤمنين، فهذا أبو أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول النَّاس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب. أكنت أنت يا أمَّ أيوب فاعلة ذلك؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله[4].

- **نموذج من السَّلف:**

مرض الشافعي رحمه الله، فأتاه بعض إخوانه يعوده، فقال للشافعي: قوَّى الله ضعفك. فقال الشافعي: لو قوى ضعفي لقتلني. قال: والله ما أردت إلَّا الخير. فقال الشافعي: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير[5].

حُسْن الظَّن في واحة الأدب والأمثال:

١- قالوا: من جعل لنفسه من حُسْن الظَّن بإخوانه نصيبًا، أراح قلبه.

يعني إنَّ الرَّجل إذا رأى من أخيه إعراضًا أو تغيرًا، فحمله منه على وجه

---

(١) الأورق: هو الذي فيه سواد ليس بصاف. ((شرح النووي على مسلم)) (١٠/١٣٣).

(٢) نزعة عرق: العرق الأصل من النسب تشبيهًا بعرق الثمرة... ومعنى نزعه: أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه. ((شرح النووي على مسلم)) (١٠/١٣٣).

(٣) رواه البخاري (٥٣٠٥)، ومسلم (١٥٠٠).

(٤) رواه الطبري في ((تفسيره)) (١٧/٢١٢).

(٥) ((آداب الشافعي ومناقبه)) لابن أبي حاتم (ص ٢٠٩).

جميل، وطلب له الأعذار، خفَّف ذلك عن قلبه، وقَلَّ منه غيظه واغتمامه[(١)].

٢- وقال محمَّد بن حرب: (صواب الظَّن، الباب الأكبر من الفراسة).

٣- وقال رجل لصاحب له: إنَّما اشتدَّ غضبي؛ لأنَّ من كان علمه أكثر، كان ذنبه أكبر، قال: فهلا جعلت سعة علمي سبيلًا إلى حُسْن الظَّن بنزوعي، أو إلى أنِّي غالط في تفريطي، مخطئ بقصدي، غير معاند لك، ولا جريء عليك[(٢)].

٤- وقال الخليل بن أحمد: يجب على الصَّديق مع صديقه استعمال أربع خصال: الصَّفح قبل الاستقالة، وتقديم حُسْن الظَّن قبل التُّهمة، والبذل قبل المسألة، ومخرج العذر قبل العتب. وقال رجل لمطيع بن إياس: جئتك خاطبًا لموَدَّتك. قال: قد زوجتكها على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع في مقالة النَّاس. وقالوا: السِّتر لما عاينت، أحسن من إذاعة ما ظننت[(٣)].

٥- وقيل: (ليكن حُسْن الظَّن بمقدار ما، والفَطِن لا تخفى عليه مخايل الأحوال، وفي الوجوه دلالات وعلامات)[(٤)].

٦- وقال أحد الزُّهاد: (ألق حُسْن الظَّن على الخَلْق، وسوء الظَّن على نفسك، لتكون من الأوَّل في سلامة، ومن الآخر على الزيادة).

حُسْن الظَّن في واحة الشِّعر:

قال المتنبي:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُه   وصدَّق ما يعتادُه من توهُّمِ

---

(١) ((الأمثال)) لابن سلام (ص ١٨٤).

(٢) ((الصداقة والصديق)) لأبي حيان التوحيدي (ص ١٥٩).

(٣) ((غرر الخصائص الواضحة)) لأبي إسحاق الوطواط (ص ٥٤٢).

(٤) ((جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة)) لأحمد زكي (٣/٢١٣).

وعادى محبِّيه بقولِ عُداتِه ... فأصبح في دَاجٍ[١] من الشَّكِّ مظلمِ[٢]

قال الشَّاعر:

حَسِّنِ الظَّنَّ تعشْ في غبطةٍ ... إنَّ حُسْنَ الظَّنِّ مِن أوقى الجنن
مَن يظن السُّوءَ يُجْزَى مثلَه ... قلَّما يُجْزَى قبيحٌ بحسنْ[٣]

وقال آخر:

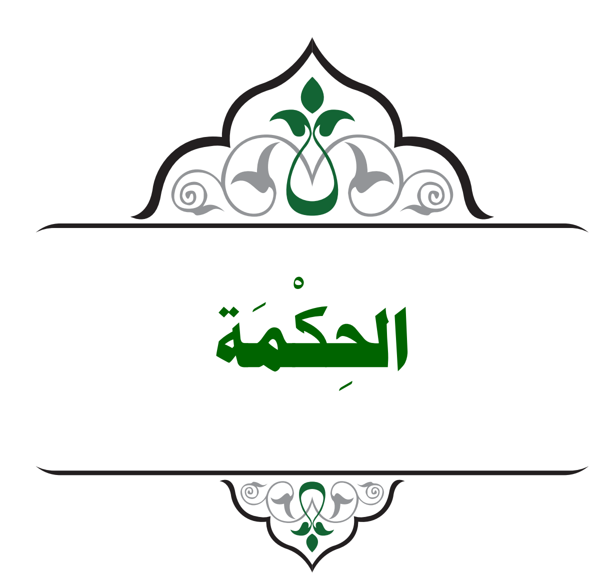
من ساء ظنًّا بما يهواه فارقه ... وحرَّضته على إبعادِه التُّهمُ[٤]

ولقد أحسن الذي يقول:

ما يستريحُ المسيءُ ظنًّا ... مِن طولِ غمٍّ وما يريحُ[٥]



(١) من دجا: الدجى: سواد الليل مع غيم، وأن لا ترى نجما ولا قمرا، وقيل: هو إذا ألبس كل شيء وليس هو من الظلمة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/٢٤٩).
(٢) ((نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)) لأحمد المقري (٥/٥٧٦).
(٣) ((ديوان المتنبي)) (ص ٤٥٩).
(٤) ((محاضرات الأدباء)) للراغب الأصفهاني (٢/٢٥).
(٥) ((صيد الأفكار)) لحسين بن محمد المهدي (١/٥٠٥).



الحِكْمَة

الحِكْمَة

معنى الحِكْمَة لغةً واصطلاحًا:

• الحِكْمَة لغةً:

الحَكَمَةُ: ما أحاط بحَنَكَي الفرس، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تمنعه من الجري الشَّديد، وتُذلِّل الدَّابَّة لراكبها، حتى تمنعها من الجِماح[1]، ومنه اشتقاق الحِكْمَة؛ لأنَّها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل.

وأَحْكَمَ الأَمْرَ: أي أَتْقَنَه فاستَحْكَم، ومنعه عن الفساد، أو منعه من الخروج عمَّا يريد[2].

• معنى الحِكْمَة اصطلاحًا:

قال أبو إسماعيل الهروي: (الحِكْمَة اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه)[3].

وقال ابن القيِّم: (الحِكْمَة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي)[4].

وقال النَّووي: (الحِكْمَة، عبارة عن العلم المتَّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس،

---

(١) من جمح الفرس: إذا ذهب يجري جريًا غالبًا واعتز فارسه وغلبه. ((لسان العرب)) (٢/٤٢٦).

(٢) ((القاموس المحيط)) للفيروز أبادي (ص ١٤١٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/١٤٣)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٦٢) ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (١/١١٩)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/١٤٥)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٨/٢٥٣)، ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (١/٢٨٨)، ((المعجم الوسيط)) (١/١٩).

(٣) ((منازل السائرين)) للهروي (ص ٧٨).

(٤) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٤٤٩).

وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك)[١].

من معاني الحِكْمَة:

تُطلق الحِكْمَة على معانٍ عدَّة، منها[٢]:

١- الحِكْمَة بمعنى السُّنَّة، وبيان الشَّرائع:

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

قال ابن القيِّم: (الحِكْمَة في كتاب الله نوعان: مفردة، ومقترنة بالكتاب. فالمفردة فُسِّرت بالنُّبُوَّة، وفُسِّرت بعلم القرآن. قال ابن عباس: هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه، ومُحْكَمه ومُتَشَابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقال الضَّحاك: هي القرآن والفهم فيه. وقال مجاهد: هي القرآن، والعلم والفِقْه. وفي رواية أخرى عنه: هي الإصابة في القول والفعل. وقال النَّخعي: هي معاني الأشياء وفهمها. وقال الحسن: الورع في دين الله. كأنَّه فسَّرها بثمرتها ومقتضاها. وأما الحِكْمَة المقرونة بالكتاب، فهي السُّنَّة. كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة. وقيل: هي القضاء بالوحي، وتفسيرها بالسُّنَّة أعم وأشهر)[٣].

---

(١) ((شرح النووي على مسلم)) (٢/٣٣).

(٢) ((نضرة النعيم)) (٥/١٦٩٢).

(٣) ((تفسير القرآن الكريم)) لابن القيم (التفسير القيم) (ص ٢٣١).

٢- الحِكْمَة بمعنى النُّبُوَّة:

قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الزخرف: ٦٣].

٣- الحِكْمَة بمعنى الفِقْه:

قال تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٤- الحِكْمَة بمعنى الفَهْم، وحُجَّة العقل وفقًا للشَّريعة:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

٥- الحِكْمَة بمعنى العِظَة:

قال تعالى: ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: ٥].

الترغيب في الحِكْمَة:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النَّحل: ١٢٥].

(﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ أي: بالمقالة المحْكَمة الصَّحيحة. وهو الدَّليل الموضِّح للحقِّ، المزيح للشُّبهة)[1].

- وقال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(أي: أنَّه تعالى يُعطي الحِكْمَة والعلم النَّافع المصرِّف للإرادة، لمن يشاء من عباده، فيميِّز به الحقائق من الأوهام، ويسهل عليه التَّفرقة بين الوسواس والإلهام، وآلة الحِكْمَة، العقل المستقل بالحكم في إدراك الأشياء بأدلتها، على حقيقتها، ومن أُوتي ذلك عرف الفرق بين وعد الرَّحمن ووعد الشَّيطان، وعضَّ على الأوَّل بالنَّواجذ، وطرح الثَّاني وراءه ظهريًّا، وفهم الأمور)[2].

وقال السعدي: (إنَّ من آتاه الله الحِكْمَة فقد آتاه خيرًا كثيرًا، وأيُّ خير أعظم من خير فيه سعادة الدَّارين، والنَّجاة من شقاوتهما! وفيه التَّخصيص بهذا الفضل، وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقِّف على الحِكْمَة، إذ كماله بتكميل قوَّتيه العلميَّة والعمليَّة، فتكميل قوَّته العلميَّة: بمعرفة الحقِّ، ومعرفة المقصود به، وتكميل قوَّته العمليَّة: بالعمل بالخير وترك الشَّر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل، وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك)[3].

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا

---

(١) ((محاسن التأويل)) للقاسمي (٦/٤٢٢).

(٢) ((تفسير المراغي)) (٣/٤١-٤٢).

(٣) ((تفسير السعدي)) (ص ١١٥).

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

(يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لُقْمان، بالحِكْمَة، وهي العلم بالحقِّ على وجهه وحِكْمَته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالمًا، ولا يكون حكيمًا)[١].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النَّبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلِّمها))[٢].

قال النَّووي: (ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها، معناه: يعمل بها ويعلِّمها احتسابًا، والحكمة: كلُّ ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح)[٣].

- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ضمَّني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: ((اللهمَّ علِّمه الحِكْمَة))[٤].

قال ابن حجر: (اختلف الشُّرَّاح في المراد بالحِكْمَة هنا، فقيل: القرآن، كما تقدم، وقيل: العمل به، وقيل: السُّنَّة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يُفرِّق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة. وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التَّفسير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ

---

(١) ((تفسير السعدي)) (ص ٦٤٨).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٩)، ومسلم (٨١٦).

(٣) ((شرح النووي على مسلم)) (٦/٩٨).

(٤) رواه البخاري (٣٧٥٦).

ٱلْحِكْمَةَ ﴾، والأقرب أنَّ المراد بها في حديث ابن عباس: الفهم في القرآن)[١].

أقوال السَّلف وأهل العلم في الحِكْمَة:

- قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ينبغي لحامل القرآن، أن يكون باكيًا محزونًا حكيمًا حليمًا سكينًا)[٢].

- وكتب سلمان إلى أبي الدَّرداء: (إنَّما العلم كالينابيع، فينفع به الله من شاء، ومَثَلُ حِكْمَة لا يُتَكلَّم بها، كجسد لا رُوح له)[٣].

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كونوا ربَّانيِّين حُكَماء فقهاء)[٤].

- وعن عكرمة، قال: (قال عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم: لا تطرح اللؤلؤ إلى الخنزير، فإنَّ الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئًا، ولا تعط الحِكْمَة من لا يريدها، فإنَّ الحِكْمَة خيرٌ من اللؤلؤ، ومن لم يردها شرٌّ من الخنزير)[٥].

- وقال عمر بن عبد العزيز: (إذا رأيتم الرَّجل يطيل الصَّمت، ويهرب من النَّاس، فاقْرَبوا منه؛ فإنَّه يُلقَّى الحِكْمَة)[٦].

- وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: (مكتوبٌ في الحِكْمَة، بُنَيَّ لتكن كلمتك طيِّبة، وليكن وجهك بسيطًا، تكن أحبَّ إلى النَّاس ممَّن يعطيهم العطاء)[٧].

---

(١) ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٧٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٥٨٤)، وأحمد في ((الزهد)) (١٣٣)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (١/١٢٩) موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٧/١٢١).

(٤) ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٩٢).

(٥) رواه البيهقي في ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (ص ٣٥٦)، وابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (١/٤٥٠).

(٦) ((التبصرة)) لابن الجوزي (٢/٢٨٩).

(٧) ((الزهد والرقائق)) لابن المبارك، و((الزهد)) لنعيم بن حماد (١/٣٧٣).

- وقال سليمان بن عبد الملك: (يا أبا حازم! من أعقل النَّاس؟ فقال أبو حازم: من تعلَّم الحِكْمَة وعلَّمها النَّاس)(١).

- وقال وهب بن منبه: (إنَّ الحِكْمَة تسكن القلب الوَادِع السَّاكن)(٢).

- وقال حماد بن أبي حنيفة: (كان يقال: من يستقبل وجوه الآراء، عرف مواقع الخطأ، ومن عُرِف بالحِكْمَة لمحته الأعين بالوقار)(٣).

- وعن ابن عيينة قال: (كان يقال: إنَّ أفضل ما أُعطي العبد في الدُّنيا الحِكْمَة، وفي الآخرة الرَّحمة)(٤).

- وقال وهيب بن الورد: (بلغنا أنَّ الحِكْمَة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصَّمت، والعاشرة في عزلة النَّاس)(٥).

- وعن كثير بن مرَّة قال: (لا تحدِّث الباطل للحُكَمَاء فيمقتوك، ولا تحدِّث الحِكْمَة للسُّفهاء فيكذِّبوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل. إنَّ عليك في علمك حقًّا، كما إنَّ عليك في مالك حقًّا)(٦).

- وقال أبو بكر بن دريد: (كلُّ كلمة وعظتك وزجرتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح، فهي حِكْمَة)(٧).

- وقال عبد الرَّحمن الحبلي: (ليس هديَّة أفضل من كلمة حِكْمَة تهديها لأخيك)(٨).

---

(١) ((المجالسة وجواهر العلم)) لأبي بكر الدينوري (١٥١/٨).
(٢) ((سنن الدارمي)) (٤٧١/١).
(٣) ((المجالسة وجواهر العلم)) لأبي بكر الدينوري (٢٧٦/٦).
(٤) ((المصدر السابق)) (٣٠٤/٦).
(٥) ((العزلة)) للخطابي (ص ١٩).
(٦) ((سنن الدارمي)) (١١٧/١).
(٧) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (٣٣/٢).
(٨) ((سنن الدارمي)) (٣٥١).

- وقال أبان بن سليم: (كلمة حِكْمَة لك من أخيك، خير لك من مال يعطيك؛ لأنَّ المال يطغيك، والكلمة تهديك)[١].

فوائد الحِكْمَة:

١- من فوائد الحِكْمَة، أنها طريق إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ، موصلة إليه، مقرِّبة منه، وحينها ينقطع العبد عمن سواه، ولا يطمع في غيره.

٢- أنَّها سِمَة من سمات الأنبياء والصَّالحين، وعلامة للعلماء العاملين، ومزيَّة للدُّعاة المصلحين.

٣- من أهمِّ فوائد الحِكْمَة، الإصابة في القول والسَّداد والعمل.

٤- أنَّها ترفع الإنسان درجات وتشرِّفه، وتزيد من مكانته بين النَّاس، فعن مالك بن دينار قال: (قرأت في بعض كتب الله: أنَّ الحِكْمَة تزيد الشَّريف شرفًا، وترفع المملوك حتى تُجْلِسه مجالس الملوك)[٢].

٥- فيها دلالة على كمال عقل صاحبها وعلوِّ شأنه، وهذا يجعله قريبًا من النَّاس، حبيبًا لقلوبهم، ومَهْوَى أفئدتهم، يقول فيسمعون، ويأمر فيطيعون؛ لأنَّهم يدركون أنَّ رأيه نِعْم الرأي، ومشورته خير مشورة.

٦- أنَّها تدعو صاحبها للعمل على وفق الشَّرع، فيصيب في القول والفعل والتَّفكير، ويسير على هدى وبصيرة. قال أبو القاسم الجنيد بن محمد، وقد سئل: بم تأمر الحِكْمَة؟ قال: (تأمر الحِكْمَة بكلِّ ما يُحْمَد في الباقي أثره،

(١) ((بهجة المجالس وأنس المجالس)) لابن عبد البر (١/٥).
(٢) ((الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه)) لأبي هلال العسكري (ص ٥٠).

ويطيب عند جملة النَّاس خبره، ويُؤْمَن في العواقب ضرره)[١].

٧- تعطي العبد نفاذًا في البصيرة، وتهذيبًا للنَّفس، وتزكية للرُّوح، ونقاءً للقلب.

٨- تكسو العبد بثوب الوقار، وتحلِّيه بحلية الهيبة، وتخلع عليه ثياب البهاء والإجلال.

٩- يكون صاحبها كالغيث حيثما حلَّ نفع، وأينما وُضِع أفاد، فيتعلَّم منه الكبير والصَّغير، ويكون مصدر خير بإذن الله.

١٠- تحفظ الإنسان عن ارتكاب السُّوء أو التَّلفظ به، أو ارتكاب المحذورات، أو التَّجنِّي على الغير، أو عمل ما يضطره للاعتذار وطلب العفو، قال أبو القاسم الجنيد بن محمد، وقد سئل عما تنهى الحِكْمَة؟ فقال: (الحِكْمَة تنهى عن كلِّ ما يحتاج أن يُعْتَذر منه، وعن كلِّ ما إذا غاب عِلْمُه عن غيرك، أَحْشَمَك ذكره في نفسك)[٢].

أنواع الحِكْمَة ودرجاتها:

- **الحِكْمَة نوعان:**

النَّوع الأوَّل: حِكْمَة علميَّة نظريَّة، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا.

النَّوع الثَّاني: حِكْمَة عمليَّة، وهي وضع الشيء في موضعه[٣].

---

(١) ((حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)) لأبي نعيم (١٣/٢٦١).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٤٧٨).

درجات الحِكْمَة:

وهي على ثلاث درجات:

الدَّرجة الأولى: أن تعطي كلَّ شيء حقَّه ولا تعدِّيه حدَّه، ولا تعجِّله عن وقته، ولا تؤخِّره عنه.

لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق، تقتضيها شرعًا وقدرًا. ولها حدود ونهايات تصل إليها ولا تتعدَّاها. ولها أوقات لا تتقدَّم عنها ولا تتأخَّر، كانت الحِكْمَة مراعاة هذه الجهات الثلاث. بأن تُعطي كلَّ مرتبة حقَّها الذي أحقَّه الله بشرعه وقدره. ولا تتعدَّى بها حدَّها. فتكون متعديًا مخالفًا للحِكْمَة. ولا تطلب تعجيلها عن وقتها فتخالف الحِكْمَة. ولا تؤخِّرها عنه فتفوتها... فالحِكْمَة إذًا: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي... فكلُّ نظام الوجود مرتبط بهذه الصِّفة. وكلُّ خلل في الوجود، وفي العبد فسببه الإخلال بها. فأكمل النَّاس، أوفرهم نصيبًا. وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال، أقلهم منها ميراثًا.

ولها ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأَنَاة.

وآفاتها وأضدادها: الجهل، والطَّيش، والعجلة.

فلا حِكْمَة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول.

الدَّرجة الثَّانية: أن تشهد نظر الله في وَعْده، وتعرف عدله في حُكْمه. وتلحظ بِرَّه في منعه.

أي: تعرف الحِكْمَة في الوعد والوعيد، وتشهد حُكْمه كما في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٤٠]، فتشهد عدله في وعيده، وإحسانه في وعده، وكلٌّ قائمٌ بحِكْمَته.

وكذلك تعرف عدله في أحكامه الشَّرعية، والكونيَّة الجارية على الخلائق، فإنَّه لا ظلم فيها، ولا حَيْف[١] ولا جور، وكذلك تعرف بِرَّه في منعه. فإنَّه سبحانه هو الجَوَاد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق، ولا يَغِيض ما في يمينه سعَة عطائه. فما منع من منعه فضله إلَّا لحِكْمَة كاملة في ذلك.

الدَّرجة الثَّالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة. وفي إشارتك الغاية.

فتصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم. وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخصِّيصة التي اختصَّ بها الصَّحابة عن سائر الأمَّة، وهي أعلى درجات العلماء[٢].

موانع اكتساب الحِكْمَة:

١- من موانعها ما ذكره إبراهيم الخواص، حيث قال: (الحِكْمَة تنزل من السَّماء، فلا تسكن قلبًا فيه أربعة: الركون إلى الدُّنيا، وهمُّ غدٍ، وحبُّ الفضول، وحسد أخٍ)[٣].

٢- التَّعجل في الأمور، وترك التَّأني في اتخاذ القرار؛ فالعجلة في غير موضعها تدلُّ على خفَّة العقل، وقلَّة رزانته، وغلبة الشَّهوة عليه، ولهذا جعل ابن القيِّم من آفات الحِكْمَة وأضدادها العجلة، وقال: (فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول)[٤].

قال أبو حاتم البستي: (والعَجِل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم،

---

(١) الحيف: الميل في الحكم، والجور والظلم. ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/٦٠).

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٤٤٨-٤٥٢)، بتصرف.

(٣) ((حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)) لأبي نعيم (١٣/٣٢٦).

(٤) ((الرائد - دروس في التربية والدعوة)) لمازن عبد الكريم الفريح (٣/٥٠).

ويَحْمدُ قبل أن يجرِّب، ويذمُّ بعد ما يحمد، ويعزم قبل أن يفكِّر، ويمضي قبل أن يعزم، والعَجِل تصحبه النَّدامة، وتعتزله السَّلامة. وكانت العرب تكنِّي العجلة: أمَّ النَّدامات)[١].

٣- ضيق الأفق، وعدم التَّفكر في عواقب الأمور، ونقصد بضيق الأفق: سطحية التَّفكير وبساطته إلى حد الغفلة أو السَّذاجة، والنَّظر إلى الأمور من جانب واحد. وسوء تقدير للعواقب والنَّتائج، وجهل بالواقع، يضاف إلى ذلك عشوائيَّة العمل، وارتجاليَّة الأهداف، وإهدار الطَّاقات في قضايا ثانويَّة، وتبديدٌ للجهود في أمور هامشيَّة، وشَغْل النَّفس بالكماليَّات مع التَّفريط بالضَّروريات[٢].

٤- فَقْد البصيرة الدَّالة على حقائق الأمور، فيتَّخذ قراره على ظواهرها.

٥- عدم استشارة الصَّالحين، وأهل الخبرة.

٦- عدم الاستفادة من خبرات السَّابقين.

وسائل اكتساب الحِكْمَة:

الحِكْمَة من حيث الاكتساب وعدمه تنقسم إلى قسمين:

- حِكْمَة فطريَّة: يؤتيها الله عز وجل من يشاء، ويتفضَّل بها على من يريد، وهذه لا يد للعبد فيها، وهي التي عناها عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حينما كتب إلى أبي موسى الأشعري: (إنَّ الحِكْمَة ليست عن كِبَر السِّن، ولكنَّه عطاء الله يعطيه من يشاء، فإيَّاك ودناءة الأمور، ومُرَّاق الأخلاق)[٣].

---

(١) ((روضة العقلاء)) لأبي حاتم البستي (ص ٢١٦).
(٢) ((الرائد - دروس في التربية والدعوة)) مازن عبد الكريم الفريح (٣/٥٣).
(٣) ((الإشراف في منازل الأشراف)) لابن أبي الدنيا (٢١٢).

- حِكْمَةٌ مكتسبةٌ: يكتسبها العبد بفعل أسبابها، وترك موانعها، فيسهل انقيادها له، وتجري على ألفاظه التي ينطق بها، وتكتسي بها أعماله التي يفعلها، ويشهدها النَّاس على حركاته وسكناته.

ومن طرق اكتسابها:

١- التَّفقه في الدِّين، وهو من الخير الكثير الذي أشارت إليه الآية: قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] [(١)]. وهي ثمرة من ثمار التَّربية القرآنية، ونتيجة من نتائجها؛ قال سيد قطب: (والحِكْمَة ثمرة التَّعليم بهذا الكتاب، وهي ملكة يتأتَّى معها وضع الأمور في مواضعها الصَّحيحة، ووزن الأمور بموازينها الصَّحيحة، وإدراك غايات الأوامر والتوجيهات.. وكذلك تحقَّقت هذه الثَّمرة ناضجة لمن ربَّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزكَّاهم بآيات الله)[(٢)].

٢- مجالسة أهل الصَّلاح، والاختلاط بهم، والاستفادة منهم؛ لذا كان لُقْمان يقول لابنه وهو يوصيه ويدُلُّه على طريق الحِكْمَة: (يا بُنَيَّ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإنَّ الله يحيي القلوب بنور الحِكْمَة، كما يحيي الأرض الميِّتة بوابل السَّماء)[(٣)].

٣- العبادة الحقَّة لله سبحانه، والارتباط الوثيق به، والبعد عن المعاصي، وطرد الهوى، كلُّ ذلك من طُرُق نيْل الحِكْمَة؛ فعن الحسن، قال: (من أحسن عبادة الله في شبيبته، لقَّاه الله الحِكْمَة عند كِبَر سنِّه، وذلك قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ

---

(١) ((هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا)) لمحمود محمد الخزندار (ص ١٢٢).
(٢) ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (١/١٣٩).
(٣) ((تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك)) (٣/١٦١).

وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [القصص: ١٤])[١].

وقال ابن الجوزي: (لكلِّ باب مفتاح، ومفتاح الحِكْمَة: طرد الهوى)[٢].

٤- تحرِّي الحلال في مأكله ومشربه وملبسه وشأنه كلِّه سبب في نَيْل الحِكْمَة، والوصول إلى مصافِّ الحكماء.

٥- كثرة التَّجارب، والاستفادة من مدرسة الحياة؛ فـ(من مشارب الحِكْمَة: الاستفادة من العمر والتَّجارب، بالاعتبار، وأخذ الحَيْطة لأمر الدِّين والدُّنيا، ففي الحديث: ((لا يُلدغ المؤمن من جحر مرَّتين))[٣]. وكثرة التَّجارب هي التي تُكْسِب صاحبها الحلم والحِكْمَة)[٤].

٦- ألَّا يعتمد المرء على رأي نفسه، بل عليه أن يستشير ذوي الخبرة والتَّجربة من إخوانه الصَّالحين؛ ليزداد بصيرة بالعواقب[٥].

٧- التَّحلِّي بالصَّمت عمَّا لا فائدة فيه، طريق إلى اكتسابها، فالحَكِيم يُعرف بالصَّمت وقلَّة الكلام، وإذا تكلَّم تكلَّم بالحقِّ، وإن تلفَّظ تلفَّظ بخير، أو سكت، ففي الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا، أو يسكت))[٦].

وقد قال وهب بن منبه: (أجمعت الأطباء على أنَّ رأس الطبِّ: الحِمْيَة،

---

(١) ((المجالسة وجواهر العلم)) لأبي بكر الدينوري (٦/٢٤٠).

(٢) ((التبصرة)) لابن الجوزي (١/٣٩٦).

(٣) رواه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

(٤) ((هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا)) لمحمود محمد الخزندار (ص ١٢٣).

(٥) ((الرائد = دروس في التربية والدعوة)) لمازن بن عبد الكريم الفريح (٣/٤٤).

(٦) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

وأجمعت الحُكَماء على أنَّ رأس الحِكْمَة: الصَّمت)[١].

وقال عمر بن عبد العزيز: (إذا رأيتم الرَّجل يطيل الصَّمت، ويهرب من النَّاس، فاقتربوا منه فإنه يُلقَّى الحِكْمَة)[٢].

وقيل: (زَيْن المرأة الحياء، وزَيْن الحكيم الصَّمت)[٣].

٨- ومن طرق اكتسابها أيضًا ما ذكره لُقْمان الحكيم عندما سئل: أنَّ أُوتي الحِكْمَة؟ قال: (بشيئين: لا أتكلَّف ما كُفِيت، ولا أضيِّع ما كُلِّفت)[٤].

نماذج في الحِكْمَة:

- **نماذج من حياة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:**

حِكْمَة نبيِّ الله سليمان عليه السلام في القضاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بينما امرأتان معهما ابنان لهما، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا فدعاهما سليمان، فقال: هاتوا السِّكين أشقُّه بينهما. فقالت الصُّغرى: يرحمك الله، هو ابنها، لا تشقَّه، فقضى به للصُّغرى))[٥].

قال ابن الجوزي: (أما داود عليه السلام فرأى استواءهما في اليد فقدم الكبرى لأجل السن، وأما سليمان عليه السلام فرأى الأمر محتملًا، فاستنبط

---

(١) ((الصمت)) لابن أبي الدنيا (ص ٢٧٨).
(٢) ((التبصرة)) لابن الجوزي (٢/٢٨٩).
(٣) ((حسن السمت في الصمت)) للسيوطي (ص ٨٤).
(٤) ((قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد)) لأبي طالب المكي (٢/٢٣٤).
(٥) رواه البخاري (٦٧٦٩)، (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠).

فأحسن، فكان أَحَدَّ فطنة من داود، وكلاهما حكم بالاجتهاد، لأنه لو كان داود حكم بالنص لم يسع سليمان أن يحكم بخلافه، ولو كان ما حكم به نصًّا لم يخف على داود.

وهذا الحديث يدل على أن الفطنة والفهم موهبة لا بمقدار السن)[١].

- **نماذج من حِكْمَة النَّبي صلى الله عليه وسلم في معاملة قومه:**

- عن عائشة، زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم، أنَّها قالت للنَّبي صلى الله عليه وسلم: ((هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْن الثَّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت أن أُطْبِق عليهم الأخشبين[٢]؛ فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا))[٣].

- وفي صلح الحُدَيْبِية: دعا النَّبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((اكتب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. فقال سهيل: أما الرَّحمن، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهمَّ. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) ((كشف المشكل)) لابن الجوزي (٣/٥١٠).

(٢) جبلا مكة قعيقعان وأبو قبيس سميا بذلك لعظمهما وخشونتهما. ((فتح الباري)) لابن حجر (١/٧٦).

(٣) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

اكتب: باسمك اللهمَّ. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمَّد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنَّا نعلم أنَّك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمَّد بن عبد الله. فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: والله إنِّي لرسول الله، وإن كذَّبتموني، اكتب: محمَّد بن عبد الله...))(١).

- **نماذج من حِكْمَة السلف:**

أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إنَّ أبا بكر رضي الله عنه خرج، وعمر رضي الله عنه يكلِّم النَّاس، فقال: اجلس. فأبى، فقال: اجلس. فأبى، فتشهَّد أبو بكر رضي الله عنه، فمال إليه النَّاس، وتركوا عمر، فقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فإن محمَّدًا صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] والله لكأنَّ النَّاس لم يكونوا يعلمون أنَّ الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه النَّاس، فما يُسْمَع بَشَرٌ إلَّا يتلوها))(٢).

عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

قال عمر: ((وافقت ربِّي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلًّى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقلت: يا رسول الله، إنَّ نساءك يدخل عليهن البرُّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب. واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٢) رواه البخاري ((١٢٤١).

نساؤه في الغَيْرة، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التَّحريم: ٥]، قال: فنزلت كذلك))[١].

عثمان بن عفان رضي الله عنه:

فقد أمر الصحابة إذا اختلفوا في شيء عند جمع القرآن أن يكتبوه بلغة قريش، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصُّحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصُّحف إلى حفصة رضي الله عنها، وأرسل إلى كلِّ أُفُقٍ من الآفاق بمصحف ممَّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحف أن يُحرق[٢].

الحسن بن علي رضي الله عنه:

عن الأعمش قال: (ما زال الحسن يعي الحِكْمَة حتى نطق بها)[٣].

أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج:

عن عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم قال: (ما رأيت أحدًا الحِكْمَة إلى فيه أقرب من أبي حازم)[٤].

عمر بن عبد العزيز:

حجَّ سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فأصابهم برقٌ ورعدٌ، حتى كادت تنخلع قلوبهم، فنظر سليمان إلى عمر وهو يضحك، فقال سليمان: يا أبا حفص، هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ فقال:

---

(١) رواه البخاري (٤٠٢)، ومسلم مختصرا (٢٣٩٩) واللفظ للبخاري.

(٢) ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (١/١٦٥).

(٣) ((مصنف ابن أبي شيبة)) (٣٥٢٢٠).

(٤) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (١/٣٨٦).

يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟ فقال: هذه المائة ألف درهم، فتصدَّق بها. فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم، لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فردَّ المظالم.

وحدث من سليمان بن عبد الملك أنَّ سليمان قال له: يا أبا حفص، إنا وُلِّينا ما قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامَّة فمُر به، فكان من ذلك أنَّ عمر أمر بعزل عمال الحجَّاج، وأقيمت الصَّلاة في أوقاتها بعد ما كانت أُمِيتت عن وقتها، مع أمور جليلة كان يُسمع من عمر فيها، فقد قيل: إنَّ سليمان حجَّ فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخَلْق الذي لا يحصي عددهم إلا الله؟ قال: هؤلاء اليوم رعيَّتك، وهم غدًا خصماؤك، فبكى سليمان بكاءً شديدًا[١].

الإمام الشافعي:

جاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي وهو في مصر، فسأله عن مسألة من الكلام، فقال له الشافعي: (أتدري أين أنت؟ قال الرَّجل: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسُّؤال عن ذلك؟ قال: لا. قال: هل تكلَّم فيه الصَّحابة؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجمًا في السَّماء؟ قال: لا. قال: فكوكب منها، تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، ممَّ خُلق؟ قال: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخَلْق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟! ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء فأخطأ فيها، ففرَّعها على أربعة أوجه، فلم يُصِب في شيء من ذلك، فقال له: شيء

---

(١) ((مناقب عمر)) لابن الجوزي (٥٢-٥٣)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٥/١٢١).

تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣])[١].

حكم وأمثال عن الحِكْمَة:

- قيل: (لا تضعوا الحِكْمَة في غير أهلها [فتظلموها]، ولا تمنعوا أهلها فتظلموهم)[٢].

- وقيل: (الصَّمت حِكْمَة، وقليل فاعله)[٣].

- وكان عرب اليمن تكتب الحِكْمَة في الحجارة طلبا لبقائها[٤].

- الحِكْمَة مُشاعةٌ بين الخَلْق، لا تُنْسب إلى جيل، ولا تقف على قبيل، وإنَّما حظوظ الخَلْق فيها على قدر مشاربهم منها[٥].

الحِكْمَة في واحة الشِّعر:

قال الأحوص لعمر بن عبد العزيز:

وما الشِّعرُ إلا حِكْمَةٌ من مؤلِّف ... بمنطقِ حقٍّ أو بمنطقِ باطلِ[٦]

وقال آخر:

اعملْ بعلمِك تؤْتَ حكمًا إنَّما ... جدوى علومِ المرءِ نَهْجُ الأقومِ

(١) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٣٢/١٠).
(٢) ((الأمثال)) لابن سلام (ص ٢٦٠).
(٣) ((الزهد)) لأحمد بن حنبل (ص ٨٨).
(٤) ((جمهرة الأمثال)) لأبي هلال العسكري (٢٥٢/١).
(٥) ((البصائر والذخائر)) لأبي حيان (١٦٣/٢).
(٦) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١٢٠/١).

وإذا الفتى قد نال علمًا ثم لم ... يعملْ به فكأنَّه لم يعلمِ[١]

وقال آخر:

إذا ما أردتَ النُّطق فانطق بحِكْمَة ... وَزِن قبل نطقٍ ما تقول وَقَوِّمِ

فمن لم يزنْ ما قال لا عقلَ عنده ... ونطقٌ بوزنٍ كالبناءِ المحكمِ

فإن لم تجدْ طرقَ المقالِ حميدةً ... تجمَّلْ بحُسنِ الصَّمت تُحْمَد وتَسْلمِ

فكم صامتًا يلقى المحامدَ دائمًا ... وكم ناطقٍ يجني ثمارَ التَّندُّمِ[٢]

وقال آخر:

ويا فوزَ من أدَّى مناسكَ دينِه ... وعاش سليمَ القلبِ وهو طهورُ

وتابع دينَ الحقِّ فقهًا وحِكْمَة ... ولبَّى نداءَ الله وهو شكورُ

فهذا الذي في الخلدِ ينعمُ بالُه ... وتحظو به بين الأرائكِ حورُ[٣]



(١) ((الكتيبة الكامنة)) للسان الدين بن الخطيب (ص ٣٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (١/٣٤٠-٣٤١).

(٣) ((المصدر السابق)) (٢/٧٥).

فهرس الموضوعات

